اصلاح الاخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٦	يؤتية	يؤتيه
١٥	٧	اختلافة	اختلافه
٢٠	٦	للقيران	للقيروان
٢٦	١٣	وأما ماروواه	.
٢٧	٥	صاجنا	صاحبنا
٢٩	١١	اختلافة	اختلاقه
٣٠	١٨	ويكون	ونكون
٣٨	١٤	فى هذا	من هذا
٤٨	٢٠	عيسى	عيسى
٥٠	١٨	يدون	بدون
٥٢	٦	الاصوال	الاصول
٥٤	٢	سيمان	سليمان
٦٢	٣	وولى الدين	ولى الدين
٦٨	٢٣	١٣٢٦	١٣٣٦
٧١	١٧	أرأيت	أريت

فهرس أبحاث الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس أسماء الكتب

ا

ب

ت

ذ

ر

ز

س

م

٨ - الرسائل النادرة

صفحة مجيدة من تاريخ الفقه الاسلامي

بلوغ الأمانى

فى سيرة الامام محمد بن الحسن الشيبانى

رضى الله عنه

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

عفى عنهما

الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ

مكتبة الخانجى ومطبعتها

يطلب من مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز بمصر

مع سائر الرسائل النادرة التى تقدم طبعها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فضل بعض الفقهاء على بعض . أرشد طوائف منهم إلى وجوه الفرق فيما بين الواجب والفرض . ووسع مداركهم فى دقائق المسائل ، وأنار عقولهم إلى تعرف مراتب الدلائل . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنيفية السمحة البيضاء . وعلى آله المطهرين الأصفياء . وصحبه القادة الأتقياء . ما انفتقت قرائح الفقهاء لاستنباط أحكام الشريعة الغراء .

وبعد ، فان تاريخ الفقه يشهد بأن الكتب المؤلفة فى مذاهب الأئمة المتبوعين من المدونة والحجة والأم ومابعدها إنما ألفت على ضوء كتب ذلك الامام العظيم أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، ولم تزل كتبه بأيدى الفقهاء من كل مذهب قبل حلول قرون التقليد البحت يتداولونها ويستفيدون منها تقديراً منهم لما امتازت به ـ على سبقها ـ من رصانة فى التعبير ، ووضوح فى البيان ، وإحكام فى التأصيل ، ودقة فى التفريع مع التدليل على مسائل ربما تعزب أدلتها عن علم كثير من الفقهاء من أهل طبقته فضلا عمن بعدهم ، على توسعها فى توليد المسائل فى الأبواب بحيث ينبئ عن تغلغل مؤلفها فى أسرار العربية ويده البيضاء فى اكتشاف أسرار التشريع ، من غير أن تظهر على كلامه شهوة الانفراد والشذوذ عن الفقهاء عند مايناقشهم فى آرائهم ، ولا التحيل والتشغيب فى سبيل الدعوة إلى آراء استبانت له بخلاف ما ابتلى به كثير ممن ينتمى إلى الفقه . بل ينوه بفضل شيوخه عليه ويسجل

أقوالهم في مؤلفاته عرفانا منه لجميلهم ، ولم يغرّه اتساع علمه بل زاده اخلاصا الى إخلاص فكافأه الله سبحانه على ذلك بأن بارك في علمه حتى أصبحت كتبه لحمة الكتب المدونة في جميع المذاهب بدون مغالاة ، وأدام الانتفاع بكتبه مدى القرون .

وأنت ترى أنه لم يصل الينا من أى فقيه في طبقته أوفى طبقة تقارب طبقته، كتب في الفقه قدر ماوصل الينا من مؤلفاته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد جمعت في هذه الأوراق مايسهل نقله ولايحسن جهله من سيرة ذلك الامام الجليل عرفانا لجميله ، وإنارة لبعض النواحي من تاريخ الفقه ، وإثارة لاهتمام أهل الشأن باحياء ما ثره ، وسميت هذه المجالة (بلوغ الأماني في سيرة الامام محمد بن الحسن الشيباني) جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

نسبه ومولده ومنبت أرومته

هو الامام المجتهد أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني نسباً على ما ذكره الاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي الشافعي في كتاب التحصيل في أصول الفقه ، وأقره الجلال السيوطي في (حزيل المواهب في اختلاف المذاهب) وغالب أهل العلم على أنه شيباني ولاء لانسباً والله أعلم . وغلط من قال في جده واقد بدل فرقد وقد ترجم ابن عساكر لوالده في تاريخ دمشق ووصفه بالغنى والثروة . وقال القاضي أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز البصري — شيخ الامام أبي جعفر الطحاوي — : محمد بن الحسن : أصله من قرية قرب الرملة بفلسطين أعرفها وأعرف قوما من أهلها ، ثم انتقلوا إلى الكوفة اهـ . أخرجه أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمري بسنده اليه في كتابه (أخبار أبي حنيفة وأصحابه) .

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى : محمد بن الحسن ،

أصله من الجزيرة وكان أبوه في جند الشام فقدم واسط فولد محمد بها سنة اثنتين وثلاثين ومائة اهـ . وهو الصحيح فى ميلاده وعليه أطبقت كلمات من ورخه من الأقدمين ، وأما ما حكاه ابن عبد البر فى الانتقاء ونقله ابن خلكان في (وفيات الأعيان) من أنه ولد سنة خمس وثلاثين ومائة فسهو محض . وقال الخطيب فى تاريخ بغداد : محمد بن الحسن ، أصله دمشقى من أهل قرية تسمي حرستا (بمهملات بفتحتين فسكون قرية مشهورة بغوطة دمشق) قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط ونشأ بالكوفة اهـ .

ولعل الصواب أن أصله ، من الجزيرة ـ من منتجع بنى شيبان من ديار ربيعة ـ ثم صار والده فى جند الشام ، وأثرى فأقام أهله مرة فى حرستا ومرة بقرية فى فلسطين وكلتا هما من أرض الشام ، ومن هناك انتقلوا الى الكوفة وفى أثناء إقامة أبويه بواسط لأجل عمل كان والده تولاه بها ولد محمد ثم عادوا إلى الكوفة وبها كانت نشأته والله أعلم .

مبدأ أمره واتصاله بأبي حنيفة

كان محمد بن الحسن رحمه الله ذكيا متقد الذهن ، سريع الخاطر ، قوى الذاكرة ، ذا نفس وثابة إلى المعالى ، جميل الخلق والخلق للغاية ، سميناخفيف الروح ، ممتلئاً صحة وقوة . نشأ فى بلهنية العيش ببيت والده السرى المثرى بالكوفة .

ولما بلغ سن التمييزتعلم القرآن الكريم وحفظ منه ما تيسرله حفظه وأخذ يحضر دروس اللغة العربية والرواية وكانت الكوفة إذ ذاك مهد العلوم العربية ، ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة واتخذها على بن أبى طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة . ولما بلغت سنه اربع عشرة سنة حضر مجلس أبى حنيفة ليسأله عن مسألة نزلت به . فسأله قائلا : ما تقول فى غلام

احتلم بالليل بعد ماصلى العشاء ؟ هل يعيد العشاء . قال : نعم ! فقام وأخذ نعله وأعاد العشاء فى زاوية المسجد . وهو أول ما تعلم من أبى حنيفة فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك وقال : إن هذا الصبى يفلح إن شاء الله تعالى . وكان كما قال ، ثم ألقى الله سبحانه فى قلبه حب التفقه في دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه فعاد إلى المجلس يريد التفقه فقال له أبو حنيفة : استظهر القرآن أولا . لأن المتفقه على طريقة أبى حنيفة فى حاجة شديدة الى ذلك لأنه مادام الاحتجاج بالقرآن ميسوراً لايعدل عنه إلى حجة سواه وله المنزلة الأولى فى الحجة عنده حتى إن عموماته قطعية فيما لم يلحقه تخصيص .

ويظهر أن محمد بن الحسن لم يكن إذ ذاك جيد الاستظهار للقرآن فغاب سبعة أيام ثم جاء مع والده وقال : حفظته . وسأل أبا حنيفة عن مسألة فقال له أبو حنيفة : أخذت هذه المسألة من غيرك أم أنشأتها من نفسك ؟ فقال محمد : من عندى فقال أبو حنيفة : سألت سؤال الرجال ، أدم الاختلاف الينا والى الحلقة . ومن ذلك الحين أقبل محمد بن الحسن الى العلم بكليته يلازم حلقة أبى حنيفة ، ويكتب أجوبة المسائل فى مجلسه ويدونها وبعد أن لازمه أربع سنين على هذا الوجه مات أبو حنيفة رضى الله عنه ثم أتم الفقه على طريقة أبى حنيفة عند أبى يوسف هذا مايتعلق بفقه أبى حنيفة .

وأما الحديث فقد سمعه من أبى حنيفة وأبى يوسف وغيرهما من مشايخ كثيرة بالكوفة والبصرة والمدينة ومكه والشام وبلاد العراق بل جمع إلى علم أبى حنيفة وأبى يوسف علم الاوزاعى ، والثورى ، ومالك رضى الله عنهم حتى أصبح إماماً لايبلغ شأوه فى الفقه قويا فى التفسير والحديث حجة فى اللغة باتفاق أهل العلم ممن لم يصب بتعصب وهو القائل ورثت ثلاثين الفا فصرفت نصفها فى اللغة والشعر والنصف الآخر فى الفقه والحديث كما صح ذلك عنه بطرق .

ويعلم مبلغ انصرافه الى العلم مما رواه الذهبي في جزئه الذى ألفه فى ترجمة

محمد بن الحسن ، وابن أبى العوام الحافظ عن الطحاوى عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة أنه قال : كان محمد بن الحسن قد انقلع قلبه من فكره فى الفقه حتى كان الرجل يسلم عليه فيدعو له محمد فيزيده الرجل فى السلام فيرد عليه ذلك الدعاء بعينه الذى ليس من جواب الزيادة فى شئ ، ومما رواه أبو خازم أيضا قال حدثنى ابن بنت محمد بن الحسن قال قلت لأمى صفى ما كان جدى يعمل فى منزله قالت : كان والله يابنى يكون فى هذا البيت وحوله الكتب ما كنت أسمع له كلمة غير أنى كنت أراه يشير بحاجبه واصبعه. وذكر الذهبى فى جزئه والصيمرى والخطيب بسندهما عن محمد بن سماعة أنه قال : ان محمد بن الحسن قال لأهله لا تسألونى حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا قلبى ، وخذوا ماتحتاجون اليه من وكيلى فانه أقل لهمى وأفرغ لقلبى اه ومن خصه الله سبحانه بمثل تلك المواهب وأقبل الى العلم هذا الاقبال وأخلص هذا الاخلاص لابد وأن تثمر مساعيه هذا الاثمار رضى الله عنه ونفعنا ببركات علومه .

شيوخه فى الحديث

أما مشايخه فى الحديث

فمن أهل الكوفة أبو حنيفة ، واسماعيل بن أبى خالد الأحمسى ، وسفيان ابن سعيد الثورى ، ومسعر بن كدام ، ومالك بن مغول ، وقيس بن الربيع ، وعمر بن ذر ، وبكير بن عامر ، وأبو بكر النهشلى عبد الله بن قطاف ، ومحل ابن محرز الضبى ، وأبو كدينة يحيى بن المهلب البجلى ، وعبد الرحمن بن عبدالله ابن عتبة المسعودى ، واسرائيل بن يونس ، وبدر بن عثمان ، وأبو الاحوص سلام بن سليم ، وسلام بن سليمان ، وأبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف القاضى ، واسماعيل بن ابراهيم البجلى ،

وفضيل بن غزوان ، والحسن بن عمارة ، ويونس بن أبى اسحاق السبيعي ، وعبد الجبار بن العباس الهمدانى ، ومحمد بن أبان بن صالح القرشى ، وسعيد، ابن عبيد الطائى ، وأبو فروة عروة بن الحارث الهمدانى ، وأبو زهير العلاء ابن زهير.

ومن أهل المدينة مالك بن أنس ، وابراهيم بن محمد بن أبى يحيي ، وعبيد الله بن عمر بن حفص العمرى ، وأخوه عبد الله ، وخارجة بن عبدالله ابن سليمان ، ومحمد بن هلال ، والضحاك بن عثمان ، واسماعيل بن رافع ، وعطاف بن خالد ، واسحاق بن حازم ، وهشام بن سعد ، وأسامة بن زيد الليثى ، وداود بن قيس الفراء ، وعيسى بن أبى عيسى الخياط ، وعبد الرحمن ابن أبى الزناد ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب ، وخثيم بن عراك .

ومن أهل مكة سفيان بن عيينة الكوفى نزيل مكة ، وزمعة بن صالح ، واسماعيل بن عبد الملك ، وطلحة بن عمرو ، وسيف بن سليمان ، وابراهيم ابن يزيد الأموى ، وزكريا بن اسحاق ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفى الطائفى .

ومن أهل البصرة أبو العوام عبد العزيز بن الربيع البصرى ، وهشام ابن أبى عبد الله ، والربيع بن صبيح ، وأبو حرة واصل بن عبد الرحمن ، وسعيد بن أبى عروبة ، واسماعيل بن إبراهيم البصرى ، والمبارك بن فضالة.

ومن واسط عباد بن العوام ، وشعبة بن الحجاج ، وأبو مالك عبد الملك النخعى .

ومن أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعى ، ومحمد بن راشد المكحولى ، واسماعيل بن عياش الحمصى ، وثور بن يزيد الدمشقى .

ومن خراسان عبد الله بن المبارك .

ومن أهل اليمامة أيوب بن عتبة التيمى وغير هؤلاء من أهل تلك البلاد وغيرها ولم يزهد فى الرواية عن أقرانه وعمن هو دونه كما هو شأن الأكابر فى روايتهم عن الأصاغر .

بعض أصحابه وتلاميذه وجملة ممن أخذ عنه

ولما طار صيت محمد بن الحسن فى الآفاق وسارت بتصانيفه الركبان قصده أناس من أقاصي البلدان للتفقه عنده حيث كان بلغ أعلى مراتب الاجتهاد وان كان يحافظ على انتسابه لابى حنيفة النعمان عرفانا لجميل يده عليه فى الفقه ، ولم يضع استمراره على انتسابه هذا من مرتبته إلا عند من لا يعرف مراتب الرجال .

ويصعب استقصاء من تخرج به فنكتفى هنا بذكر جملة من أصحابه وتلاميذه ليعلم أنه شيخ المجتهدين فى عصره: فمنهم أبو حفص الكبير البخارى أحمد بن حفص العجلى ـ ومنه كان البخارى تلقى فقه أهل الرأي وجامع الثورى قبل رحلاته ـ ، وأبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجانى وبه انتشرت الكتب الستة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الاربعة ، وأبو عبيد قاسم بن سلام الهروي ذلك الامام المجتهد الكبير ، وعمرو بن أبى عمرو الحرانى ، ومحمد بن سماعة التميمى ، وعلى ابن معبد بن شداد الرقى من جملة من روى الجامع الكبير والجامع الصغير ، ومعلى بن منصور الرازى ، وأبو بكر بن أبى مقاتل ، وأسد بن الفرات القيروانى مدون مذهب مالك وشيخ سحنون، ومحمد بن مقاتل الرازى شيخ ابن جرير ، ويحيى بن معين الغطفانى امام الجرح والتعديل ، وعلى بن مسلم الطوسى ، وموسى بن نصر الرازى ، وشداد بن حكيم البلخى ، والحسن بن حرب الرقى ، وابن جبلة ، وأبو العباس حميد ، وأبو التوبة ربيع بن نافع الحلبى ، وعبيد الله بن أبى حنيفة الدبوسى ، وأبو زيد عمرو بن يزيد الجرمى، ومصعب بن عبد الله الزبيرى ، وأيوب بن الحسن النيسابورى ، وخلف بن أيوب البلخى ، وعلى بن صبيح، وعقيل بن عنبسة ،وعلى بن مهران، وعمرو ابن مهير ، ويحيى بن أكثم ، وأبو عبد الرحمن المؤدب مؤدب آل شبيب ،

وعلى بن الحسن الرازى ، وهشام بن عبيد الله الرازى ، وأبو جعفر أحمد ابن محمد بن مهران النسوى راوى الموطأ عنه ، وشعيب بن سليمان الكيسانى راوى الكيسانيات عنه ، وعلى بن صالح الجرجانى راوي الجرجانيات عنه ، واسماعيل بن توبة القزوينى راوى السير الكبير عنه ، وأبو بكر ابراهيم بن رستم المروزى راوى النوادر عنه ، وأبو زكريا يحيي بن صالح الوحاظى الحمصى من شيوخ البخارى بالشام ، وأبو موسى عيسى بن أبان البصرى راوى الحجج على أهل المدينة عنه ومؤلف كتاب الحجج الكبير وكتاب الحجج الصغير وكتاب الرد على المريسى والشافعى فى شروط قبول الأخبار ، وسفيان ابن سحبان البصرى صاحب كتاب العلل وغيرهم .

ومحمد بن عمر الواقدى روى عنه كما روى هو عن الواقدى وذلك من رواية الأقران بعضهم من بعض . ونكتفى بذكر هذا المقدار ممن تفقه لديه واخذ عنه .

رحلته إلى مالك وسماعه الموطأ من لفظه

وعندما بدأ الموطأ يذيع فى أوائل عهد المهدى رحل محمد إلى مالك ولازمه ثلاث سنين وجملة ماسمعه من لفظ مالك من الحديث نحو سبعمائة حديث مسند كما صح ذلك بطرق عنه . وسمع من سائر شيوخ المدينة فى هذه الرحلة زيادة على ما كان سمعه منهم فى رحلاته السابقة .

وللموطأ نحو اثنتين وعشرين رواية تختلف زيادة ونقصاً يشير الى بعض ذلك الدارقطنى فى جزء ألفه فى اختلاف الموطآت واتفاقها ، وموطأ محمد يعد من أجود الموطآت ان لم يكن أجودها مطلقا لأنه سمعه من لفظه بترو فى مدة ثلاث سنوات . ولأنه يذكر بعد أحاديث الأبواب ما اذا كانت تلك الأحاديث مما أخذ به فقهاء العراق أو خالفوه مع سرد الأحاديث التى بها

خالفوا تلك الأحاديث . وهـذه ميزة عظيمة يمتاز بها موطأ محمـد عن باقى الموطآت ، كما أن موطأ يحيى الليثى المتوفى سـنة أربع وثلاثين ومأتين يمتاز عن الباقى بسرده آراء مالك فى مسائل بعد ذكره الأحاديث ، وإنما كان مالك كتب الموطأ لنفسه لئلا يغلط هوعند إسماعه لأحاديثه لا لأجل أن ينسخوه ويتداولوه ، ولذلك كان مالك يتصرف فيـه زيادة ونقصا عنـد كل سماع . فاختلفت النسخ باختـلاف سماع الرواة فيكون كل راو هو المدون لروايته باعتبار سماعه عليه لا بمجرد النسخ من نسخته ، وهذا هو سر اختلاف نسخ الموطأ إلى نحو اثنتين وعشرين نسخة فيعلم من ذلك أن عمل محمـد فى الموطأ يعد عملا جليلا جداً عند من يعنى بأحاديث الأحكام على أن أحاديث الحجاز كانت مشتركة بين علماء الأمصار معلومة لهم مروية عندهم لـكثرة حجهم وزيارتهـم ولا يفوتهـم شئ منها فى الغالب . وإنما المهم معرفة ماإذا كانوا أخذوا بتلك الأحاديث أم تركوها لأدلة أخرى وقام محمد فى موطئه بتعريف ذلك حيث بين مواطن الأخذ كما بين مواضع الترك بأدلته .

بعض ماجرى بينه وبين مالك ومقارنة أهل العلم بينهما

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف أنه قال : كنت بالمدينة عنـد مالك وهو يفتى الناس فدخل عليـه محمـد بن الحسن صاحب أبى حنيفة وهو حدث (وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه) فقال : ماتقول فى جنب لايجد الماء إلا فى المسجد ؟ . فقال مالك : لايدخل الجنب المسجد . قال فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء ؟ قال : فجعل مالك يكرر لا يدخل الجنب المسجد . فلما أكثر عليه قال له مالك : فما تقول أنت فى هذا ؟ . قال يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل . قال : من أين أنت ؟ قال : من أهل هذه ـ وأشار إلى الأرض ـ ثم نهض . قالوا : هذا محمد بن الحسن

صاحب أبي حنيفة . فقال مالك : محمد بن الحسن ، كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ . قالوا : إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض . قال هذا أشد على من ذاك اهـ . ويقال : إن محمد بن الحسن حضر يوماً مجلس مالك فوجده يقول ماممناه ، لا تصدقوا أهل العراق ولا تكذبوهم وأنزلوهم منزلة أهل الكتاب . فلما بصر مالك بمحمد ، تغير وخجل وجعل يقول : هكذا كان يقول بعض مشايخنا . والله أعلم بصحة هذا الخبر . وروى أبو إسماعيل الهروى فى ذم الكلام بسنده إلى الشافعى كأنه سمع محمد بن الحسن يقول : رأيت مالكا وسألته عن أشياء فما كان يحل له أن يفتى . ـ ثم ذكر ماجرى بين الشافعى وبين محمد بن الحسن من الأخذ والرد في ذلك على زعمه ـ ولفظ ابن عبد البر فى الانتقاء ، أن محمد بن الحسن قال : ما كان على صاحبكم أن يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت . يريد أن مالكا ، لم يكن متعينا للافتاء بحيث يجب عليه أن يفتى فى وقت خاص ، لوجود علماء في طبقته وفيهم من هو أعلى كعباً منه فى ذلك الوقت ، وأما أبو حنيفة فلم يكن فى عهده من هو أكفأ منه فى الفتيا وأيقظ منه فى الفقه حتى تعين للافتاء ووجب عليه أن يفتى .

وهذا أمر لايظهر إلا لمن يعلم مراتب علماء المدينة فى عهد مالك، ومراتب علماء العراق فى زمن أبي حنيفة فعلى تقدير صحة هذا أو ذاك من محمد يظهر أن محمد بن الحسن ، وإن كان يقر لمالك بكونه قدوة فى الحديث لكنه لم يكن يراه بهذه المرتبة فى الفقه ولعل ذلك من كثرة ما كان يسمع منه من قوله : لا أدرى فى المسائل ، وبطئه فى الجواب كما أنه لم يكن يرى عنده ماتعود أن يراه فى علماء العراق من سرعة الخاطر ، والاجابة الحاضرة على اطراد فى التفريع واتساق فى التأصيل . ومثل محمد بن الحسن لايلام فى المقارنة بين أهل العلم ولكل عالم رأيه فى المقارنة بين العلماء لكن لايخفى أن مالك بن أنس رضى الله عنه ما كان يجيب إلا فى النوازل وكان يأبى الخوض فى جواب مالم يقع ، وهذا هو الباعث على قلة إجابته عن المسائل حتى إن

الموطأ من رواية يحيي الليثى الذى حوى آراء مالك مع أحاديثـه ، لم يشتمل إلا على نحو ثلاثة آلاف مسألة ، وربما يكون هـذا المقدار أقل بكثير مما ينتجه أبو حنيفة وأصحابه فى نحو ثلاثة أشهر . وأما كثرة المسائل فى أسمعة المتأخرين المروية عن مالك فليست مما يطمئن إليها القلب كما يتبين ذلك مما قالوه فى عبد الملك بن حبيب وصاحب العتبية ومن بعدهما وقصارى القول فيها أنها تخريجات على رأى مالك .

وصفوة القول : أن محمد بن الحسن سمع الموطأ من مالك لـكنه كان يرى أن فى آرائه ما يرد عليـه حتى صنف كتاب (الحجج) المعروف بالاحتجاج على أهل المدينـة وتوجد نسخة مخطوطة منـه فى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٤ ونسخة أخرى فى مكتبة (نور عثمانيـه) باصطنبول تحت رقم ١٤٩٢ وفيهما نقص وكنت اطلعت قبل سنين متطاولة على كراريس غلب عـلى ظنى أنها من الـكتاب المذكور . تحتوى عـلى أبواب خلت منها النسختان المذكورتان ثم سعيت جهدى أخيراً لأهتـدى إلى موضع وجود تلك الكراريس من المجاميع فى خزانات اصطنبول عـلى بعـد الدار لـكن لم أهتد الى موضع وجود تلك الكراريس بين المجاميع المحفوظة بها ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وهو كتاب قلما تجد له نظيراً فى كتب الردود وتلقى فيما رد به الشافعى على مالك أثر ذلك الـكتاب ملموساً فى جميع خطوات الرد الوارد ولا تجد مثل تلك الاجادة فيما رد به الشافعى على محمد فى بعض مسائله .

وكثير من أهل العـلم يفضل محمـد بن الحسن على بعض مشايخه فى الفقه فضـلا عن مشايخه فى الحديث . وقال الحافظ أبو القاسم بن أبى العوام السعدى سمعت الطحاوى يقول قال سمعت محمد بن سنان يقول سمعت عيسى ابن سليمان يقول : لما قدم يحيي بن أكثم مع المأمون يريد مصر لقى يحيي بن صالح الوحاظى (من مشايخ البخارى بالشام) فقال له : يا أبا زكريا أيما كان أكثر تيقظاً مالك بن أنس أو محمد بن الحسن ؟ فقال له يحيي بن صالح : كان

محمد بن الحسن نائماً مستثقلا أيقظ من مالك جالساً مجتمعا اه . وروى الخطيب ، بسنده عن يحيى بن صالح أنه قال : قال لى ابن أكثم : قد رأيت مالكا وسمعت منه ورافقت محمد بن الحسن فأيهما كان أفقه ؟ . فقلت : محمد ابن الحسن [فيما يأخذه لنفسه] أفقه من مالك اه . وما بين القوسين هكذا فى النسخة المطبوعة ولعله مدرج من مصحح الطبع . وقال الذهبي : انتهت اليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبى يوسف وتفقه به أئمة وصنف التصانيف وكان من أذكياء العالم اه .

صلته بتدوين مذهب مالك وتفقه أسد بن الفرات

عند محمد بن الحسن

كان أسد بن الفرات خرج من القيروان الى الشرق سنة اثنتين وسبعين ومائة فسمع الموطأ على مالك بالمدينة وكان أصحاب مالك ؛ ابن القاسم وغيره يحملونه على السؤال عن مسائل حيث كان مالك يتلطف معه ويجيبه عن مسائله دونهم لكونه رحل اليه من بلد بعيد لكن لما أكثر السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك حتى قال له يوماً : (سلسلة بنت سلسلة اذا كان كذا كان كذا إن أردت هذا فعليك بالعراق) . وفى لفظ أنه سأل مالكا يوماً عن مسألة فأجابه عنها فزاد أسد فى السؤال فأجابه ثم زاده فقال له مالك : (حسبك يامغربى إن أحببت الرأي فعليك بالعراق) . فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ويفوته ما يرغب فيه من لقى الرجال والرواية عنهم فرحل الى العراق فلقى أبايوسف وناوله نسخته من الموطأ بروايته ، بطلب من أبى يوسف فاطلع على أحاديث الموطأ برواية أسد ، ولما بلغ ذلك محمد بن الحسن قال : أبو يوسف يكتفى بشم العلم . يريد أنه لم يرحل مثله لسماع الموطأ بل اكتفى بتناول من يد من يطلب العلم عنده . لكن أبا يوسف قديم الطلب للحديث

وعنده سعة فى رواية الآثار إذ ذاك فيكفيه أن يطلع على نسخة صحيحة من الموطأ وأما محمد بن الحسن فانما سمعه من مالك وهو فى سن الطلب قبل أن يتسع فى معرفة الآثار فشتان ما بين الحالتين ، فلعل هذا الكلام لايثبت عن محمد بن الحسن وإن عزاه إليه بعض قدماء المغاربة بدون سند . فسمع أسد ابن الفرات بالعراق من أصحاب أبى حنيفة وتفقه عليهم : منهم أبو يوسف القاضى ، وأسد بن عمرو البجلى ، ومحمد بن الحسن وغيرهم من فقهاء العراق وكان أكثر اختلافه الى محمد بن الحسن ولما حضر عنده قال له : (انى غريب قليل النفقه ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير فما حيلتى ؟) . فقال محمد : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك فتبيت عندى وأسمعك . وقال أسد : وكنت أبيت عنده وينزل إلى ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ثم يأخذ فى القراءة فاذا طال الليل ورآنى نعست ملأ يده ونضح به على وجهى فأنتبه فكان ذلك دأبه ودأبى حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه اه . وكان محمد بن الحسن يتعهده بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفدت وكان فى احدى المرات أعطاه ثمانين ديناراً حينما رآه يشرب من ماء السبيل ، وسعى فى نفقته عند ما أراد أسد الانصراف من العراق فى حكاية طريفة يطول ذكرها وهى مسرودة فى الجزء الثانى من معالم الايمان فى تاريخ القيروان .

ولا أعلم بين أئمة العلم من كان يصبر صبر محمد بن الحسن فى تعليم تلاميذه ولا من يؤثر إيثاره فى الانفاق عليهم خلا استاذه الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه . وأما مايروى عن مالك رضى الله عنه من مشاطرته فى ماله للشافعى فمن قبيل تلك الحكايات المختلقة ورحلته المكذوبة التى سنبين وجوه كونها مختلقة ولم أر روايتها فى كلام من يوثق بروايته بسند يعول على مثله بخلاف ما هنا . ومما قاله أسد عن رحلته العراقيه : (بينما نحن كنا مع محمد بن الحسن يوما فى حلقته اذ أتاه رجل يتخطى

الناس حتى صار اليه فسمعنا محمداً يقول : إنا لله وانا اليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها مات مالك بن أنس ، مات أمير المؤمنين فى الحديث) . ثم فشا الخبر فى المسجد وماج الناس حزنا لموت مالك بن أنس رضى الله عنه وكان اذا حدث عن مالك بعد ذلك اجتمع عليه الناس وانسدت اليه الطرق رغبة منهم في حديث مالك ، واذا حدث عن غيره لم يجئه الا الخواص اه .

وهذا مصداق ما روى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسن أنه قال : ما أعلم أحداً أسوء ثناء على أصحابه منكم اذا حدثتكم عن مالك ملأتم على الموضع واذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتونى متكارهين اه . ومثله فى الكامل لابن عدى والانتقاء لابن عبد البر ولا عجب فى ذلك فان حديث العراقيين كان قد امتلأ به العراق فهم متمكنون من سماعه متى شاءوا وأما حديث مالك إمام دار الهجرة فيحق لهم أن يرغبوا فى سماعه من مثل محمد بن الحسن ولا سيما بعد أن بلغهم نبأ وفاة مالك رضى الله عنه لبعد الدار وانقطاع عهد الرحلة اليه بوفاته مع اطراء محمد لمالك هذا الاطراء وذلك سر تضاعف الرغبات فى سماع حديثه فعذر أصحابه فى ذلك ظاهر .

ثم انصرف أسد من العراق بعد أن زقه محمد العلم زقا ، ومر فى طريقه الى بلده بالمدينة المنورة ليسأل بها أصحاب مالك عن المسائل التى تلقاها من محمد بن الحسن ولم يجد عندهم ما يطلبه بل أشاروا اليه بالرحيل إلى أصحاب مالك بمصر فارتحل ولما وصل الى مصر قصد الى عبد الله بن وهب وقال له : هذه كتب أبى حنيفة . وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى فذهب الى ابن القاسم فأجابه الى ما طلب فأجاب فيما حفظ عن مالك ، بقوله وفيما شك قال اخال وأحسب وأظن وتسمى تلك الكتب الأسدية ثم رجع بها الى القيروان وحصلت له رياسة العلم بتلك الكتب . وهذا لفظ أبى اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، وأما لفظ (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) فهو اذ أسداً أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه في مسائل أبى حنيفة

على مذهب مالك فتورع فذهب الى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ عن مالك وفى غيره يقول سمعته يقول فى مسألة ، كذا وكذا ومسألتك مثلها ، ومنها ما أجابه على أصول مالك وهذه الأسدية هى أصل مدونة سحنون أصلح ابن القاسم منها أشياء على يد سحنون اه . ولفظ ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل عند ترجمة عبد الرحمن بن القاسم فى المجلد الرابع منه ، كان أسد سأل محمد بن الحسن عن مسائل ثم قدم مصر فسأل ابن وهب أن يجيبه فيما كان عنده منها عن مالك ، وما لم يكن عنده عن مالك منها فمن عنده فلم يفعل فأتى عبدالرحمن ابن القاسم فتوسع له فأجابه على هذا فالناس يتكلمون فى هذه المسائل اه . ونقل ابن عبد البر نص هذه العبارة فى الانتقاء . وابن وهب يغلب عليه الرواية فمثله لابد وأن يأبى وأما ابن القاسم فقد لازم مالكا نحو عشرين سنة بيقظة وانتباه يسمع منه ويتفقه عليه ومثله يكون أكثر إقداما على مثل ذلك والمالكية يفضلونه على باقى أصحاب مالك فى الفقه وأما كلام الناس فى مسائل ابن القاسم هذه فلا ستبعادهم استظهار هذا المقدار العظيم من المسائل عن مالك بدون كتاب مدون عنده لكن الحفظ من مواهب الله سبحانه ، وذكر فى معالم الايمان أن أسد بن الفرات بعد أن أبى ابن وهب مر بأشهب فسأله عن مسألة فأجابه فقال له أسد : من يقول هذا مالك أو أبو حنيفة ؟ . فقال أشهب : هذا من قولى عافاك الله . فقال له : إنما سألتك عن قول مالك وأبى حنيفة فتقول هذا قولى . فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن عبد الحكم لأسد : مالك ولهذا ؟ رجل أجابك بجوابه فان شئت فاقبل وان شئت فاترك . ففرق بينهما ، فأتى أسد إلى عبد الرحمن بن القاسم وسأله كما سبق . ويقال إن أشهب أزدرى مالكا وأبا حنيفة مرة حيث انجر الكلام إلى ذكرهما في مجلسه فقال له أسد : يا أشهب يا أشهب يا أشهب . فأسكته الطلبة . وقيل له : ماذا أردت أن تقول له قال : أردت أن أقول له : مثلك ومثلهما ، مثل رجل أتى بين بحرين فبال فرغى بوله فقال : هذا بحر ثالث . ويقال بل قال ذلك له مشافهة

كما فى معالم الايمان والله أعلم .

ولا يخفى أنه لولا الكتب التى تلقاها أسد من محمد فى فقه أبى حنيفة وقدمها لابن القاسم ليجاوبه عن مسائلها على مذهب مالك عن ظهر القلب لما تمكن أسد من الاجادة فى السؤال ولا ابن القاسم من الجواب عن كل مسألة يسأله فى أبواب الفقه على ترتيب أهل العراق فعلى ضوء كتب محمد تم تدوين أسد لتلك المسائل التى هى أصل مدونة سحنون . ولما أراد أسد الانصراف إلى المغرب بتلك المسائل التى دونها فى ستين كتابا وسماها الأسدية قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتاب الأسدية أن ينسخوه فأبى عليهم فقدموه إلى القاضى بمصر . فقال لهم القاضى : وأى سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله . فرغبوا إلى القاضى فى سؤاله أن يقضى حاجتهم . فسأله القاضى فأجابه إلى ذلك ـ فنسخوها حتى فرغوا منها ونسخت نسخة أخرى منها فى نحو ثلاثمائة رق (وهو المراد بالجلد فى لفظ ابن أبى حاتم) لتبقى عند ابن القاسم . ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الصلة بين المذهبين ليست مقتصرة على كون أسد دون مذهب مالك على ضوء كتب محمد بل كان مالك كثير المذاكرة فى الفقه مع أبى حنيفة كلما زار الثانى المدينة المنورة وذكر غير واحد من أهل العلم كيف كان يذاكره فى الفقه بالمسجد النبوى إلى أن ينبلج ضوء الفجر فى ليالى اقامة أبى حنيفة بالمدينة المنورة . وذكر القاضى عياض فى أوائل المدارك أن الليث بن سعد رأى مالكا وهو يعرق فسأله : أراك تعرق . فقال مالك : عرقت مع أبى حنيفة إنه لفقيه يامصري . وأخرج ابن أبى العوام الحافظ عن يوسف بن أحمد المكى عن محمد بن حازم الفقيه عن محمد بن على الصائغ عن إبراهيم بن محمد عن الشافعى عن عبد العزيز الدراوردى : أن مالكا كان ينظر فى كتب أبى حنيفة[1] وينتفع

(١) ومما يذكر فى مؤلفات الاقدمين من كتب ابى حنيفة كتاب الرأى ذكره ابن ابى العوام وكتاب اختلاف الصحابة ذكره ابو عاصم العامرى ومسعود بن شيبة وكتاب الجامع

بها كما فى الجزء الرابع من فضائل أبى حنيفة ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموعة محفوظة بها تحت رقم ٦٢ وعلى ذلك الجزء طباق وسماعات وبه تتم نسخة دار الكتب المصرية لأن بها خرما حاولوا اتمام نقصها بخط حديث إلا أنها لاتزال ناقصة فوضع الخط الحديث فى حاجة إلى النسخة الدمشقية المذكورة ، وترى فى الأم بعض مسائل يقول الشافعى فيها رواية عن الدراوردي : أحذهامالك عن أبى حنيفة بل روى الطحاوى عن الدراوردى أنه قال : كان عند مالك نفسه من مسائل أبى حنيفة نحوستين ألف مسألة كما نقله مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم له عن الطحاوى إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التى ليس هذا موضع استقصائها وإنما طرقت هذا البحث عرضا ليعلم من لايعلم أن الائمة المتبوعين مثل أسرة واحدة ترى مالكايذاكر أبا حنيفة في العلم فى المسجد النبوي وينتفع بكتبه ومحمد بن الحسن يسمع الموطأ من مالك ، والشافعى يسمع الموطأ على مالك ويتفقه على محمد بن الحسن ، وأحمد يتفقه عند أبى يوسف والشافعي وينتفع بكتب محمد بن الحسن، وبهذا نالوا بركة العلم . وأما مايروى من كلام بعضهم فى بعض فأكاذيب لفقها أعداء الدين ، وانخدع بها من انخدع من بسطاء أتباعهم راجع كلام الباجى فى شرحه على حديث الداء العضال من المنتقى شرح الموطأ (ج ٧ ص ٣٠٠) وأنت تعرف منزلة أبى الوليد الباجي هذا فى الحديث والفقه وأصول الدين وعظم شأنه فى مذهب مالك .

وأسد هذا هو ناشر مذهب أبى حنيفة ومالك بافريقية ثم اقتصر على نشر مذهب أبى حنيفة فانتشر فى ديار المغرب لحد الأندلس حتى أصبح الأكثرون فى أفريقية على هذا المذهب الى عهد ابن باديس وترحم لأسد

ذكره العباس بن مصعب في تاريخ مرو وكتاب السير والكتاب الاوسط والفقه الاكبر والفقه الابسط وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الرد على القدرية ورسالته الى عثمان البتى فى الارجاء وعدة وصايا كتبها لعدة من اصحابه وهذه الكتب مشهورة .

ابن الفرات هذا ، القاضي عياض في المدارك وابن فرحون في طبقات المالكية وتوسع في ترجمته صاحب معالم الايمان في تاريخ القيروان جد التوسع ، وأسد هذا هو فاتح صقلية وناشر الاسلام بها وبها توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ولهذه الصلة الأكيدة بين المذهبين ترى أهل الغرب يعتبرونهما بحرين وما سواهما ساقية يستغنى عنها مع إخاء صادق بين الفريقين المتمذهبين بالمذهبين كما شرح ذلك صاحب أحسن التقاسيم عند ذكره للقيران وكذلك ترى بعض كبارالفقهاء من المالكية يقول : إذا لم تكن في مسألة رواية عن مالك يؤخذ بقول أبي حنيفة فيها ، بل حصر بعضهم الخلاف بينهما في اثنتين وثلاثين مسألة.راجع قمع أهل الزيغ والالحاد عن الطعن في تقليد أئمة الاجتهاد للشيخ محمد الخضر الشنقيطي المالكي (ص ٦٦ ـ ٦٧) . ولعلى لم أخرج عن الموضوع فيما أفضت فيه هنا .

رحلة الشافعي الى محمد بن الحسن وتفقهه عنده

كان محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه تفقه على مسلم بن خالد الزنجي بمكة ثم رحل إلى المدينة وهو ابن نحو أربع عشرة سنة فعرض الموطأ على مالك وسمع من إبراهيم بن محمد بن أبي يحيي الاسلمي منافس مالك بالمدينة ثم رجع إلى مكة وسمع من ابن عيينة ثم ارتحل إلى اليمن للعمل عند بعض الولاة لضيق ذات يده فبقي باليمن يتقلب في الاعمال غير منصرف إلى العلم إلى أن ألقى القبض عليه بتهمة الانحياز للعلويين هناك ضد العباسية وحمل إلى العراق سنة أربع وثمانين ومائة ولما برئت ساحته من التهمة ألهم التفقه عند محمد بن الحسن حتى اتصل به ولازمه ملازمة كلية واستنسخ مصنفاته بصرف نحو ستين ديناراً وانصرف إلى التفقه عنده انصرافا تاماً إلى أن سمع منه حمل بختى من الكتب ليس عليها إلا سماعه وأخذ يعتلى شأنه وأصبحت هذه المحنة منحة كبرى

فى حقه لكونها مبدأ اعتلاء قدره .

ومما كتبه اليه فى أول قدومه يستبطيء إعارة كتاب كان طلبه من محمد بن الحسن :

قل للذى لم ترعيـ ن من رآه مثله
حتى كأن من رآ ه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجه به اليه فى الحال هدية لا عارية كما نقله ابن الجوزى بهذا اللفظ فى المنتظم عن الطحاوى وروى ابن عبد البر هذه الحكاية مع أبيات الشافعي هذه بسنده إليه فى جامع بيان العلم . ولفظ الصيمرى ، حدثنا أبو إسحق النيسابوري المعروف بالبيع قال حدثنا محمد بن يعقوب الاصم قال حدثنا الربيع بن سليمان قال كتب الشافعى إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتبه لينسخها فأخرها عنه فكتب إليه — تلك الأبيات — قال فأنفذ الكتب اليه من وقته اه . وذكر أبو إسحق الشيرازى أيضاً هذه القصة مع تلك الأبيات فى طبقات الفقهاءمن غير سند ، ومن المعلوم أن الشافعى رأى مالكا ووكيع ابن الجراح وابن عيينة وقد اعترف فى تلك الأبيات أنه لم ير مثل محمد بن الحسن وعده يمثل علم أبى حنيفة الذى لم يدركه الشافعى ولم يكن من الشعراء الذين يتزلفون بكل وسيلة فمثل هذا الكلام لن يصدر عن مثله إلا وقلبه يواطىء لسانه .

وقد ذكر الذهبى فى تاريخه الكبير : قال أبو على الصواف حدثنى احمد ابن الحسن الحمانى سمعت أبا عبيد يقول رأيت الشافعى عند محمد بن الحسن وقد دفع اليه خمسين ديناراً وكان قد دفع اليه قبل ذلك خمسين درهما وقال إن اشتهيت العلم فالزم قال أبو عبيد فسمعت الشافعى يقول كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولما أعطاه محمد قال لا تحتشم قال لو كنت أنت عندى ممن

أحتشمه ماقبلت برك . تفرد به الحمانى وهو مجهول لكن قول الشافعى حملت عن محمد وقر بختى صحيح رواه ابن أبى حاتم قال حدثنا الربيع قال سمعت الشافعى يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل بختى ليس عليه إلا سماعى قال أبو حاتم ثنا احمد بن أبى سريج الرازى سمعت الشافعي يقول أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثا انتهى ماقاله الذهبى ومثله فيما لخصه ابن قاضى شهبة من تاريخ الذهبى بخطه أقول كان محمد ابن الحسن يخفى بره لتلاميذه ولا يتسرب أمره إلى الرواة إلا من الذين كان ينفق هو عليهم وفى الرواية من هذه الجهة شيء وإن كان كثير البر خصوصاً فى حق الشافعي كما روي عن الشافعى نفسه بطرق فيبعد أن يعطيه شيئاً والناس يشاهدون ذلك .

ومهم جداً أن يكون الشافعى حمل من محمد حمل جمل كتبا ليس عليها إلا سماعه لأن ما سمعه عليه ومعه العراقيون فى مجلسه العام يكون عليه سماعه وسماع الآخرين . وأما الذى ليس عليه إلا سماعه فهو الذى سمعه هو خاصة فى مجالس خاصة كما فعل محمد بن الحسن مثل ذلك مع أسد بن الفرات وأبى عبيد وغيرهما من أئمة عصره فى عهد طلبهم للعلم وهذا الصبر العجيب من محمد مع تلاميذه لا يشاركه أحد من الأئمة سوى أبى حنيفة فيما نعلم كما سبق .

وروى ابن أبى حاتم عن محمد بن ادريس وراق الحميدى عن الحميدى عن الشافعى أنه قال فى صدد بيان ملازمته لمحمد بن الحسن : (فلزمته وكتبت عنه وعرفت أقاويلهم وكان إذا قام ناظرت أصحابه فقال لى : بلغنى أنك تناظر أصحابى فناظرنى فى الشاهد واليمين فامتنعت فألح على فتكلمت معه فرفع هو ذلك إلى الرشيد فأعجبه ووصلنى اه) . وبهذا يظهر كيف كان محمد بن الحسن يدربه على المناظرة وكيف كان يلفت نظر إعجاب امير المؤمنين اليه كما يظهر بذلك ايضا مبلغ أدب الشافعي مع محمد بن الحسن يأبى الكلام معه كمناظر على خلاف مافى تلك المناظرات المختلقة التى لا تجرى بين الاستاذ وتلميذه الذى تلقى منه

حمل بختى من العلم مع اعترافه بفضله عليه بكل وسيلة وعرفانه لجميله فى كل لحظة.

وكم لمحمد بن الحسن من أياد بيضاء على الشافعى حتى قال الشافعى : أمنّ الناس على فى الفقه محمد بن الحسن . رواه الخطيب عن الحسن بن محمد الخلال عن على بن عمرو الجريرى عن على بن محمد النخعى عن احمد بن حماد بن سفيان عن المزنى عنه ، وذكر السمعانى عن البويطي عن الشافعى انه قال : أعاننى الله برجلين بابن عيينة فى الحديث وبمحمد فى الفقه . وعن الربيع عن الشافعى : ليس لأحد على منة فى العلم وأسباب الدنيا مالمحمد على وكان يترحم عليه فى عامة أوقاته ، وعن ابن سماعة أن محمد بن الحسن جمع من أصحابه نحو مائة الف درهم لأجل الشافعى مرة بعد أخرى وروى الذهبى فى جزئه عن ادريس بن يوسف القراطيسى أنه سمع الشافعى يقول : مارأيت أعلم بكتاب الله من محمد كأنه عليه نزل . وكل ذلك مما يدل على أن الشافعى كان عظيم الاجلال لمحمد بن الحسن كبير الأدب فى معاملته معه .

وبعد الاحاطة بما ذكرنا يظهر أن المناظرات التى تروى بغير طريقة سؤال التلميذ من استاذه فيما يستشكله ، مناظرات خيالية ملفقة مستولدة لا ترد إلا مجردة عن الأسانيد بالمرة أو بأسانيد مركبة ، فمنها مايرويه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن التمار عن احمد بن خالد الكرمانى عن المقدمى من المناظرة بين محمد والشافعى بمجلس الرشيد . فابن رزق بعد أن عمى وهرم لازمه الخطيب وأكثر من الرواية عنه ومثل هـذا التحمل لا يخفى حاله وأبو عمرو ابن السماك مغموز برواية الأخبار التالفة والكرمانى مجهول ولفظ المقدمى لفظ الانقطاع وفى المتن ما تكذبه شواهـد الحال وليس ذلك من الطراز الذى يجرى بين الطالب وشيخه فى مثل ذلك المجلس على أن رد الشافعى على مالك وأهل المدينة أقسى من رد محمد بن الحسن عليهم فكيف يعيره الشافعى بما هو أخف مما وقع هو فيه ـ فدونك كلام محمد بن الحسن فى كتاب الحجج وكلام الشافعى فى الأم وكلامه المنقول في مناقب الشافعى لابن حجر فى ذلك

فقارن بين الكلامين حتى تتيقن أيهما أقسى وأيهما أرعى لأدب الحجاج — أم كيف يتصور أن يصدر من الشافعي مثل هذا التشغيب المحكي مع ظهور أن الرد موجه إلى مالك بحجة .

وكيف يعارض الشافعي محمد بن الحسن باعتبار أن قبول شهادة القابلة زيادة على الكتاب وأين في الكتاب ما يمنع قبول شهادة القابلة كما يقول أبو بكر الرازي حتى يذكر في هذا الموضع وإنما ذكر الله تعالى الشهادات في المداينات والوصية في السفر والرجعة أو المفارقة والزنا وأما الشهادة في الولادة فلا ذكر لها في القرآن ، وكذلك كيف يقول الشافعي إن عبد الله بن نجي مجهول وقد عرفه أهل الشأن ودونك كتب الرجال ، وجابر وإن تكلم فيه أبو حنيفة كما في علل الترمذي لكن وثقه الثوري وروى عنه شعبة مع تشدده ومحمد بن الحسن غير ملزم بقبول قول أبي حنيفة لانه مجتهد مثله ومعه الثوري وغيره .

وحكاية السيف والنطع حكاية روائية لاحقيقة لها فلا محمد بن الحسن يقف هذا الموقف في مثل هذه المسألة المشروحة أدلتها في كتبه المؤلفة قبل اتصال الشافعي به ولا الشافعي يجهل ما أشرنا اليه فملتق هذه المناظرة أساء إلى الشافعي وهو يريد الاحسان اليه لكن هكذا تكون صداقة الجاهل . وقد جرينا في ذكر هذه المناظرة المزعومة على ما في الاصل فان المطبوع فيه تخليط بهذا الموضع ومثلها حكاية لوح مغصوب سمر على سفينة كما أشرنا اليه في موضع آخر .

وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي بطريق الساجي عن يحيي بن اكثم انه قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة كثيراً فكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم والذهن صافي العقل والفهم والدماغ سريع الاصابة ولو كان أمعن في الحديث لاستغنت به أمة محمد عن غيره من العلماء اه . ومن المشهور بين الذين ترجموا لابن اكثم انه ولي قضاء البصرة سنة اثنين ومأتين وكانت سنه

إذ ذاك نحو عشرين سنة حتى إن أهل البصرة استصغروه فأجابهم بما أجاب فكيف يمكنه أن يحضر مجالس المناظرة عند محمد سنة أربع وثمانين ومائة على أن ابن اكثم خراسانى المولد تأخر قدومه إلى العراق جداً. فآثار الاختلاق ظاهرة على هذه الرواية وإن لم ينبه عليها ابن حجر والله أعلم .

وأما ما أخرجه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن التمار عن الربيع عن الشافعى انه قال : ماناظرت احداً إلا تغير وجهه ماخلا محمد بن الحسن . ففيه تحويل (ماسألت) الى (ما ناظرت) ليجعل الشافعى نظير شيخه يناظره . وفى هذه الرواية ابن رزق وابن السماك وهما معروفان . والرواية الصحيحة التى لا مغمز فيها حتى عند الخطيب نفسه هى ما أخرجه الصيمرى حيث قال ثنا العباس بن احمد الهاشمى ثنا على بن عمرو الجويرى ثنا على بن محمد النخعي ثنا احمد بن حماد بن سفيان عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول : ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لى تغير وجهه الا محمد بن الحسن اه ومثله فى الانتقاء (ص٦٩) حيث قال حدثنا خلف بن القاسم نا الحسن بن رشيق نا محمد بن يحيي الفارسى انا الربيع بن سليمان سمعت الشافعى يقول : ومارأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهة فى وجهه إلا محمد بن الحسن اه فسوق الخطيب لتلك الرواية المشوهة دون هذه الرواية الصحيحة من دسائسه المكشوفة والفرق بينهما ظاهر .

وأما ما أخرجه الحاكم من أن الشافعى كلمه فى الاثفار فسنده ليس بذاك ونبرئ الشافعي من أن يثبت عنه مثل ذلك وأبو الحسن القاسى تكلم فى ابن شعبان راجع السند فى تخريج أحاديث الرافعى لابن حجر .

وأما ما أخرجه الخطيب فى ترجمة الشافعي فى (ج ٢ ص ٦١) عن أبى الطيب الطبرى عن على بن إبراهيم بن احمد البيضاوى عن احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى أنه قال سمعت الربيع بن سليمان يقول : ناظر الشافعى محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعى فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال هرون : أما علم محمد

ابن الحسن أنه إذا ناظر رجلا من قريش يقطعه سائلا ومجيباً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منهم يسع طباق الأرض اه . فحكاية مكذوبة فى سندها ابن الجارود ويقول الخطيب نفسه عن هذا فى (ج ٢ ص ٢٤٧) : إنه كذاب . وما أدرج فى الحديث من قوله (وتعلموا منها ولا تعلموها) دس محض يخالف عمل الصحابة والتابعين المتواتر عنهم وهو اختلاق من لا يعرف على من تفقه الشافعى ؟ وقد عودنا الخطيب أن يسوق الأخبار الكاذبة من غير تنبيه على كذبها فيما إذا صادف ذلك هوى منه فلا نستغرب ذلك منه لكن القاضى أبا الطيب الطبرى كنا نظن به أنه يأبى التورط فيما يتورط فى مثله الخطيب وحاله كما ترى وكان فى غنية عن الحكايات الكاذبة فى تبيين جلالة مقدار الشافعى بماله من الفضل الجسيم والأغرب من ذلك سوق ابن حجر فى مناقب الشافعى (ص ٤٧) تلك الحكاية الكاذبة وهو يعلم أنها كاذبة نسأل الله السلامة . والبيهقى ممن لا يتورع واما ماروواه عن رواية الأكاذيب إذا صادفت هوى منه فلا يكون عذراً لابن حجر أن يكون فى سندها البيهقى وهو يعلم ذلك منه .

واما مارواه الخطيب ايضا فى ترجمة محمد بن الحسن فى (ج ٢ ص ١٧٧) من أن الشافعى ناظر محمد بن الحسن وعليه ثياب رقاق فجعل تنتفخ أوداجه ويصيح حتى لم يبق له زر إلا انقطع اه . فمتنه يغنى عن الكلام فى رجال سنده أليس من المستحيل فى جارى العادة انقطاع جميع أزرار الثياب برفع الصوت من لابسها وبالصياح منه ؟ بل هو شأن النوادب اذا لطمن صدورهن ومزقن ثيابهن ، وهذا يدل على أن واضع هذه الحكاية استعجل فى الوضع ليرفع من شأن الشافعي فنطق بما يكذبه كل سامع على أن من المروى عن الشافعى بطرق صحيحة كما أسلفنا ذكر بعضها أنه لم ير من لا يتغير حينما يسأل عن مسألة فيها نظر سوى الامام محمد بن الحسن ، فكيف يصح هذا منه مع ذاك وأين لفظ ابن عبد البر فى الانتقاء (ص ٢٤) من هذا . حيث قال

حدثنا خلف بن قاسم قال نا الحسن بن رشيق قال نا محمد بن الربيع بن سليمان ومحمد بن سفيان بن سعيد قالا نا يونس بن عبد الاعلى قال قال لى الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسن يوما فدار بيني وبينه كلام واختلاف حتى جعلت أنظر الى أوداجه تدر وتنقطع أزراره فكان فيما قلت له يومئذ نشدتك بالله هل تعلم أن صاحبنا يعني مالكا كان عالما بكتاب الله قال اللهم نعم اقلت وعالما باختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم نعم ! اه ولا غبار على هذه الرواية لأن العالم كثيراً ما يرفع صوته على تلميذه اذا رآه يتباطأ فى فهم ما يلقيه عليه وكان من هذا القبيل رفع الصوت فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فى العلم قال ابن أبى العوام الحافظ حدثنى احمد بن محمد بن سلامة قال حدثنى محمد بن العباس بن الربيع قال حدثنى المصرفى (محمد بن عمرو بن السرى) قال قال هرون الرشيد لابى يوسف: ما أحد من الناس احب مجالسته غيركم يا أهل الفقه لولا خفة فيكم فقلت له وما الخفة التى فينا ؟ قال ربما رأيت الرجل منكم يقبل على الصبى الذى سنه دون سن ولده فيعلو صوته [عليه] قال فأخذت به فى حديث آخر ثم أريته عقداً من الحساب فقلت له كم هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال كذا وأصاب فقلت ما الدليل على ذلك فقال من يقول غير هذا ؟ قلت الذى يخالفك وكلمته بكلام من هذا النحو فعلا صوته ودرت أوداجه فقلت له اصاب امير المؤمنين قد كان من صياحه ودفعه إياى ما كان ، عن الصواب الذى تفهمه العامة والخاصة فكيف ينكر على صياحى عند الصواب الذى اخالف فيه ولا تفهمه العامة ولا يفهمه الا القليل من الخاصة قال فعذر عند ذلك ه فلمل ما فى الانتقاء من هذا القبيل وانظر الى كلام الخطيب كيف غير وبدل . حكاية الخطيب مع مخالفتها للروايات الصحيحة واقترانها بما يكذبها، بين رجال سندها دعلج بن احمد كان يدخل عليه الوضاعون مثل أبى الحسين العطار وعلى الرصافى ما شاءوا من الأكاذيب ، والآبار مأجور للوقيعة فى أبى حنيفة وأصحابه والله ينتقم منه وكل ما يذكر فيه مناظرة الشافعى لمحمد

ابن الحسن من تلك الأخبار فلفقة مختلقة مخالفة لما صح من الروايات. اختلقها الكذابون على ظن أنها تروج فافتضح واضعوها من غير أن يرفعوا بها من شأن أحد لأن الموضوع من شأنه الوضع دون الرفع .

وقد روى عن الشافعى بأسانيد صحيحة ثناء بالغ فى حق محمد بن الحسن مدون فى تاريخ الخطيب وكتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى وتهذيب النووي ومؤلفات الذهبى وغيرها فضلا عما فى كتاب الكردرى فنستغنى عن سرد تلك الروايات هنا لشهرتها . ومن الحقائق الملموسة انه لا يعرف للشافعى عمل يذكر فى الفقه قبل اتصاله بمحمد بن الحسن بل إنما رجع الى مكة بعد أن تفقه عليه وأخذ يقارن ما تلقاه منه بفقه أهل الحجاز حتى حصلت له اختيارات أدت به الى اظهار الاجتهاد بعد وفاة محمد بسنوات بأن عاد الى العراق سنة خمس وتسعين ومائة بعد وفاة محمد بن الحسن بست سنوات وبقى هناك سنتين ينشر اختياراته ومذهبه القديم على رواة القديم المعروفين ، بكتاب ألفه وسماه الحجة فى مجلد ضخم وهو الذى رد عليه عيسى بن أبان كما رد على جديده القاضى بكار بمصر . ولولا أن ضيق ذات يده حمله على التقلب فى الأعمال منقطعا عن العلم لكانت مواهبه أثمرت قبل ذلك الحين .

وهناك رحلتان منسوبتان للشافعى كلتاهما مكذوبة فأولاهما رواية عبدالله ابن محمد البلوى الكذاب المشهور وقد قال ابن حجر في (توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس ص ٧١) : فقد أخرجها الآبرى والبيهقى وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها الفخر الرازى فى مناقب الشافعى بغير اسناد معتمدا عليها وهي مكذوبة وغالب ما فيها موضوع وبعضها ملفق من روايات ملفقة . وأوضح مافيها من الكذب قوله فيها : إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعى وهذا باطل من وجهين احدهما أن ابا يوسف لما دخل الشافعى بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعى ، والثانى أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا فى قتل رجل مسلم . . وليس له اليهما ذنب . . وان منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من أمر

دينهما لتصد عن ذلك والذى تحرر لنا بالطرق الصحيحة ان قدوم الشافعي بغداد أول ماقدم كان سنة أربع وثمانين ومائة وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين وانه لقى محمد بن الحسن فى تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه انتهى ما نقلناه من ابن حجر بحروفه . وقال ابن حجر ايضا فى كتابه المذكور (ص ٧٠) بعد أن ساق ما أخرجه الساجى (ان محمد بن الحسن قال للرشيد لا يغلبنك هذا بفصاحته ولسانه لانه رجل لسن) : والذى نقل عن محمد بن الحسن فى حق الشافعى ليس ثابت اهـ .

بل الثابت منه كل عطف ومساعدة له كما سبق بل لم يرو عن الشافعى ثناء في حق احد من الأئمة قدر ما روي عنه من الثناء على محمد بن الحسن عن جدارة منه بذلك الثناء وذلك اكبر تكذيب لاختلاق المختلقين

واما سعى المفترى الباهت فى تمشية اختلافه وبهتانه بأنهما كانا يحسدانه فى العلم فمن أوقح فرى يفتريها صفيق من حيث أن ذلك مما تكذبه شواهد الحال لأن الشافعى كان إذ ذاك فى حال الطلب ولم يكن له عمل فى الفقه قبل ذلك وانما كان حضر عند بعض الشيوخ فى الفقه حتى أن أحاديث الموطأ التى يقال إنه عرضها على مالك تجده يروى بعضها فى كتبه بواسطة محمد وغيره عن مالك ولا تجد نسخة من رواية الشافعى للموطأ يتداولها أهل العلم على توالى القرون كتداولهم النسخ من رواية الآخرين وهذا يدل على أنه وان كان عرض الموطأ على مالك فى مبدأ أمره لكنه لم يضبط أحاديثه ولم يستمر على مدارستها ، وكذلك لم تكن رحلته إلى اليمن لأجل العلم بل لطلب الرزق فعلى أى شيء يحسده أئمة العلم وهو فى مثل هذه الحالة ثم كيف يلازم الشافعى ـ وهو العالم المحسود فى علمه على زعمه ـ حاسده ويتلقى منه العلم ؟ وكيف يروي العلم فى كتبه عن هذا الحاسد وذلك الحاسد لو تغاضينا عن ملاحظة سيرتهما فى العلم والدين وفرضنا ـ كما يفرض المحال ـ أنهما قد يحسدان . على أن محمد بن الحسن يعترف له الصديق والعدو بأنه كان من أجهر أهل العلم صوتا فى دفع ظلم الظالمين

ولو لم يكن له موقف غير موقفه فى تصحيح أمان ذلك الطالبي في مجلس الرشيد يوم خرست ألسن من حضره من أهل العلم عن بيان الحق لكفاه دليلا على منزلته في القيام بالحق والحيلولة دون الظلم ، وقد علم الخاص والعام من رواية الثقات الأثبات مبلغ تعب محمد بن الحسن فى سبيل تعليم الشافعي والانفاق عليه ، وماله من يد بيضاء نحوه وأنه ليس أحد أمن عليه فى الفقه من محمد ابن الحسن .

أفلا يكون بعد ذلك كله من أكفر النكران وأسوأ الفرى إختلاق إساءة بدل احسان المحسن ذلك الاحسان فلا شك أن تخليد ذلك فى الكتب يحتاج إلى صفاقة بالغة وقلة فى الدين وأن ناقل ذلك من غير تفنيده شريك للمختلق فى الاثم ، وكنا نعلم مبلغ تعصب البيهقى وتمشيه مع الهوى فى كتابه (معرفة السنن) حيث يتكلم فى الطحاوى بما هو صفة نفسه ولم يسبق أن تكلم أحد من أهل العلم فيه سوى البيهقى وهو الذى يقوى الضعيف لأجل مذهبه ويضعف القوى لأجل مذهبه بل تراه يضعف رجلا لأجل المذهب ثم يقوى ذلك الرجل بعينه لاجل المذهب وبينهما أقل من ورقتين وقد كشف الستار عن وجه البيهقى (الجوهر النقى) ونبهنا على تلبيسه الحافظ عبد القادر القرشى وكنا نعلم ذلك كله في البيهقى لكن ما كنا نظن به أن يسمح دينه أن يخلد هذه الفرية المكشوفة والرحلة المكذوبة فى مناقب الشافعى مع علمه بحال البلوى ويكون تلك الرحلة مكذوبة تتضمن فضائح تخالف التاريخ الصحيح لكن ظهر بذلك جلياً أن سقوط البيهقى أبعد غوراً مما كنا نتصوره بكثير فتباً لهذا الضمير الميت وتبا لهذا التعصب المرذول فكم أوقع عمل البيهقى هذا أمثال ابن الجوينى ، وأبى حامد الطوسى والفخر الرازى ممن لاشأن لهم فى تمحيص الروايات ، في مهازل فى مبدأ أمرهم اغتراراً بتخريج البيهقى لتلك الرحلة المفضوحة ، خلا ما نتج من مثل ذلك منذ عهد القفال المروزى من تعصب بارد إما لهذا الامام أو لذلك الامام بحيث يؤلم المتعصب له والمتعصب

عليه مع أن تلك الأخبار ما هى إلا أقاصيص ملفقة لم تقع إلا فى مخيلة رواتها
وكانت الشافعية من أعرف أهل العلم لجميل علماء العراق عليهم إلى أن دب
دبيب الفتنة بينهم بإثارة أبى حامد الاسفراينى لفتنة المزاحمة على القضاء
بالكيفية المشروحة فى خطط المقريزى الشافعى فقام المحدث منهم بتدوين
الأخبار المكذوبة بدون تورع والفقيه بتصوير عبادة مشوهة حتى استفحلت
الفتنه بحيث وهت منها أركان الدولة فى القرنين الخامس والسادس إلى أن
انهدت فى أواسط السابع وتقع تبعة هذه الكوارث على أعناق مثيري تلك
الفتن بأكاذيب ملفقة ، لا نالوا من ورائها دنيا ولا بقى لهم دين خالص ، وممن
صرح قبل ابن حجر بكذب الرحلة المذكورة التقى بن تيمية فى منهاجه وقبله
مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم وأمر البلوى مكشوف من قديم . والله
سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل .

واما الرحلة الثانية فهى رواية البطين عن ابن المنذر وكانت طبعت فى
الهند مع مسند الشافعي عن نسخة سقيمة حداً ثم أعيد طبعها بمصر بتصرف
في عبارتها على أمل إزالة السقم . وتوجد فى المكتبة التيمورية بدار الكتب
المصرية نسخة غير سقيمة من هذه الرحلة مغنية عن التصرف مخطوطة فى القرن
السابع وسعى بعضهم في افراغها نقالب قصة روائية فانتشرت بين الجمهور .

وهذه الرحلة كأختها مكذوبة وهما فى الاختلاق توأمان وقد نسبت هذه
الرحلة فى الطبعة الهندية التى هى ام الطبعة المصرية الى السيوطى من غير وجه
كما نسبت فى بعض المخطوطات الى الشعرانى بدون سبب وزادت الطبعة المصرية
انها بقلم الشافعى نفسه واشتركت الطبعتان فى أنهما تعتبرانها رواية الربيع
الجيزي عن الشافعي ، وقد كذب العقيلى ابن المنذر فى دعوى ادراكه الربيع
المرادى المتوفى سنة سبعين ومأتين فكيف يتصور أن يدرك الجيزى المتوفى
سنة ست وخمسين ومأتين والحق انه لا شأن للشافعي ولا للربيع ولا لابن المنذر
فى انشاء هذه الرحلة ولا فى روايتها ، وانما اختلقها من اختلق ، بعد ابن المنذر

وركب لها سنداً ولم يتعرض فيها لمحنة الشافعي أصلا . فالبطين والكواز مجهولان والله أعلم بحال من بعدهما إلى الفارسي، وفي المتن ما يغنيك عن تطلب رجال السند والكشف عن أحوالهم

فمن الأكاذيب الصريحة فيها سماع عبد الله [1] بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم بل الليث بن سعد، الموطأ على مالك سنة أربع وستين ومائة بقراءة الشافعي وزمن لقي هؤلاء بمالك معروف عند أهل العلم وابن القاسم لازم مالكا الي وفاته من سنة تسع وخمسين ومائة قبل رحلة الشافعي بسنوات ولم يلق الشافعي الليث أصلا طول عمره وقد صح عنه أسفه العظيم على ذلك وما يعزى الى الربيع أنه قال (أحسبه) عند ذكر الليث من طرائق تلبيس الكذابين والربيع من أعلم الناس بأن الشافعي لم يلق الليث .

وادعاء رحلة الشافعي الى العراق سنة أربع وستين ومائة بعيد سماعه الموطأ على مالك أمر خيالي بحت مخالف للتاريخ الصحيح المدون في كتب النقاد ولما نقلناه آنفاً من ابن حجر من أن دخول الشافعي العراق أول مرة كان سنة ١٨٤ بعد وفاة أبي يوسف بسنتين فتكون تلك المزاعم من ملاقاته لأبي يوسف ومحمد ابن الحسن ومشاهدته دنيا طائلة عندهما ومباحثته معهما وحفظه كتاب الاوسط لأبي حنيفة من خزانة محمد بن الحسن خلسة في ليلة واحدة من غير أن يعلم محمد بن الحسن بذلك وتغليطه لمحمد في نقله عن كتاب الاوسط وضن محمد بكتبه بعد ذلك إلى آخر ما ذكر هناك كلها أكاذيب تنهار بانهيار الكذب الذي بنيت هي عليه ، ثم تنقله في بلاد الفرس كذب صريح ايضاً ولم يذكر أحد ممن عني بتواريخ البلدان في كتبهم حلول الشافعي بأحد تلك البلاد فأين ذكر الشافعي في تاريخ نيسابور أو الري أو قزوين أو جرجان أو مرو أو اصبهان وتلك التواريخ كلها بمتناول أيدي الناس . وكذلك عودته الى بغداد في أول

(١) كان ابن القاسم في تلك السنة لم يغادر مصر بعد وأشهب رحلته الى مالك قبل ذلك التاريخ

خلافة الرشيد سنة احدى وسبعين ومائة وتأليفه كتاب الزعفرانى وهو القديم (يعنى كتاب الحجة) بين عشية وضحاها فى ذلك الوقت كذب مضاعف لأن سن الزعفرانى حينما قرأ القديم على الشافعى سنة خمس وتسعين ومائة لأول مرة كانت نحو خمس عشرة سنة فقط لم يبد عليه بعد نبات شاربه مع أنه يسرع إلى النبطيين فلم يكن الزعفرانى بعد مولوداً فى تاريخ سنة احدى وسبعين ومائة فضلا عن أن يؤلف الشافعى الكتاب باسمه فى ذلك التاريخ كما لا يخفى ثم رحيله فى التاريخ نفسه من بغداد بطريق حران وإهداء أحد تلاميذه هناك آلافا مؤلفة من الدنانير اليه . وتوزيع الشافعي لتلك الدنانير العظيمة المقدار على أهل العلم من المحدثين الذين استقبلوه كالأوزاعى وابن عيينة وأحمد بن حنبل مع ان الأوزاعي كان مات سنة سبع وخمسين ومائة والشافعى ابن سبع ، وابن عيينة لم يفارق الحجاز منذ انتقل إلى مكة من الكوفة بعد وفاة أبى حنيفة وكان احمد بن حنبل صبيا ابن سبع سنين لا يرحل مثله فى ذلك التاريخ ، ثم لقاؤه مالك بن انس وهو فى غاية من الغنى ، وفى بابه من الجوارى مايزيد على ثلاثمائة جارية لا يتم طوافه عليهن إلا فى سنة كاملة وعنده من الاموال مالا يوجد إلا عند الملوك وإهداء مالك إلى الشافعى جميع تلك الاموال ثم انقلاب الشافعى إلى أهله بمكة بتلك الهدايا الضخمة وتوزيعه لتلك الأموال كلها على أهل مكة ولقاؤه لأهل بيته وهو لا يملك شروى نقير ثم بلوغ هذا الخبر لمالك وابتهاجه من هذا الايثار العظيم، وجعل مالك له وظيفا مرتبا سنويا ضخما تقاضاه الشافعى من مالك إحدى عشرة سنة (وواضع الرحلة بارع فى الحساب ايضاً فيجعل عدد السنين فيما بين ذلك التاريخ اعنى سنة ١٧١ وتاريخ وفاة مالك أعنى سنة ١٧٩ احدى عشرة سنة) ، ثم ضيق ذات يده بموت مالك وانتقاله إلى مصر ، وقيام عبد الله بن عبد الحكم مقام مالك فى كفايته إلى أن مات .

كل ذلك أكاذيب فى أكاذيب يعجز عن تلفيقها امام حمص المذكور فى

شرح الشريشى على المقامات وان كان لعبد الله بن عبد الحكم يد بيضاء على الشافعى حينما حل بمصر فى حدود سنة مأتين لاسنة تسع وسبعين ومائة بعد وفاة مالك رضى الله عنه فتاريخ موت مالك وتاريخ انتقال الشافعى إلى مصر وحال مالك فى الزهد والتقشف كل ذلك من الامور المعلومة عند العام والخاص ولعل هذا القدر من البيان يكفى لتبيين مافى الرحلة الثانيه من الهذيان .

ولا بأس فى الاشارة هنا إلى ما يتحا كونه من حديث كأنه جرى بين محمد ابن الحسن والشافعى فى المفاضلة بين أبى حنيفة ومالك وقد رواه ابن عبد البر فى الانتقاء على لفظين من طريقين ، ورواه أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء على لفظ آخر وأبو إسماعيل الهروى فى ذم الكلام على لفظ رابع وابن الجوزى فى مناقب احمد على لفظ خامس ومع كل هذه الاصطرابات فى رواية حادثة واحدة زاد الخطيب فى الطين بلة وساق الخبر بلفظ أفظع من ألفاظهم في تاريخه مع انه يزعم انه رواية يونس بن عبد الاعلي فاذا قارنت قول الخطيب (٢ ـ ١٧٧) مع رواية ابن عبد البر وقد سبقت فى (ص ٢٧) وكلاهما من طريق يونس بن عبد الاعلى تجد تصرف الخطيب الشائن وتغييره لنص الرواية ماثلين أمامك غير قابلين للستر وإن زاد فى آخر الرواية لفظ (أو ما هذا معناه) ليتسنى له التملص من تبعة تغيير النص فاذا انتبه اليه أحدهم وظهر للناس أن لفظ الخطيب يخالف لفظ ابن عبد البر فى الرواية عن يونس ابن عبد الاعلى قال الخطيب لا لوم على فى هذا التحريف لأنى نقلت الحكاية بالمعنى فربما أكون غلطت فى بعض ألفاظها أما رأيت قولى فى آخر الحكاية (أو ماهذا معناه)؟. هكذا أمانة الخطيب فى نقل النصوص نسأل الله السلامة

ولا يخفى أن محمد بن الحسن أفنى عمره فى فقه أبى حنيفة وسمع الحديث من مالك ولازمه ثلاث سنين فى حين أن الشافعى إنما لازم مالك بن أنس ثمانية أشهر فقط على مايقال فليس من المعقول أن ينال محمد بن الحسن من أبى حنيفة ومالك نيلا لا يتفق مع مالهما من المنزلة عنده في كتبه المتواترة

عنـه . ورواية أبى عاصم محمـد بن احمـد العامرى فى المبسوط تنافى تلك الروايات كلها كما نقله مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم ، وهاهو نص رواية العامرى : (ان الشافعى سأل محمداً أيما أعلم مالك أو أبو حنيفة ؟ . فقال محمد : بماذا ؟ . قال بكتاب الله ! قال : أبو حنيفة . فقال من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . فقال : أبو حنيفة ، أعلم بالمعانى ومالك أهدى للألفاظ فقال : من أعلم بأقاويل الصحابة ؟ . فأمر محمد باحضار كتاب اختلاف الصحابة الذى صنفه ابو حنيفة) إلى آخر ما ذكره العامري وهذا هو الموافق لما كان عليـه محمـد بن الحسن من اجـلال أبى حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى والله تعالى أعلم .

أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبى يوسف

وما حدث بعد ذلك من الجفاء بينهما

كان محمد بن الحسن بعد أن مات أبوحنيفة لازم مجلس أبى يوسف يأخذ عنه الفقه والحديث حتى تم له ما أراد من التفقه فى دين الله ثم قام محمدبن الحسن بنشر علمهما جهده وهو راوية فقه أبى حنيفة وأبى يوسف فى المبسوط والجامع الصغير والسير الصغير وناشر مذهبه نفسه فى باقى كتبه سواء ذكر أولم يذكر أقوالهما وقد روى الطحاوى عن ابن أبى عمران عن محمدبن عبد الرحمن الطبرى عن إسماعيل بن حمـاد انه قال : كان محمد بن الحسن يبكر إلى مجالس الحديث ونبكر نحن إلى أبى يوسف فيجئ محمـد وقـد مضت مسائل ونحن نتحدث فيعيد عليه أبو يوسف ما مضى فجاء يوماً ونحن نتحدث فسأله أبو يوسف عن مسألة مرت من المسائل فأجاب محمد فيها بخلاف ما مضى . فقال له أبو يوسف ليس هذا الجواب فتنازعا فيها فقال محمد ليس هذا قوله . إلى أن دعى بالكتاب فاذا الجواب كما قال محمـد بن الحسن فقال أبو يوسف هكذا يكون

الحفظ اهـ . وروى عن بعض أجلة أصحاب أبى يوسف أنه سأل أبا يوسف عن مسألة فأجاب ثم سأل محمداً فخالفه واحتج بدلائل . ثم قال له : إن أبا يوسف يخالفك فهل لك أن تجتمع معه فاجتمعا فى المسجد فتناظرا قال السائل ففهمت إلى قليل ثم دق الكلام فلم أفهم

وقال الخطيب أنبأنا احمد بن محمد بن عبد الله الكاتب قال أنبأنا محمد بن حميد المخرمى قال نبأنا على بن الحسين بن حبان قال وجدت في كتاب أبى بخط يده قال أبو زكريا يعنى يحيي بن معين سمعت محمد بن الحسن صاحب الرأى وقيل له سمعت هذه الكتب من أبى يوسف . قال : لا والله ما سمعتها منه ولكنى من أعلم الناس بها وماسمعت من أبى يوسف إلا الجامع الصغير اهـ .

وقال ابن أبى العوام حدثنى محمد بن احمد بن حماد قال حدثنى احمد بن القاسم البرتى أبو الحسن قال سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت الحسن بن زياد يقول من زعم أنه سمع هذه الكتب يعنى العتق من أبى يوسف بالكوفة فقد كذب إنما كانت روزنا مجات ينظر فيها بالليل وينبطح فيها بالنهار قال محمد ابن شجاع ولكنها قد قرئت على أبى يوسف ببغداد وسمعها أصحابنا قال محمد ابن شجاع سمعت اسماعيل بن الفضل وأبا على الرازى وجماعة من أصحابنا يذكرون أن أبا يوسف سئل أسمع محمد بن الحسن منك هذه الكتب ؟ فقال أبو يوسف : سلوه . فأتينا محمداً فسألناه فقال ماسمعتها ولكن أصححها لكم اهـ.

وروى الطحاوى عن ابن أبى عمران عن الطبري انه سمع معلى بن منصور يقول : لقينى أبو يوسف بهيئة القضاء فقال لى يامعلى من تلزم اليوم ؟ .قلت ألزم محمد بن الحسن . فقال : الزمه فانه أعلم الناس . قال ثم لقينى بعد ذلك فقال لى : يا معلى من تلزم اليوم ؟ . قلت : محمد بن الحسن . قال : الزمه فانه من أعلم الناس . حطه من المرتبة الاولى إلى الثانية اهـ . ولعل ذلك بسبب ما حدث بينهما من الجفاء لأجل القضاء وذلك ما رواه ابن أبى العوام عن الطحاوى عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة انه قال :

إنما كان سبب مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف شوور فى رجل يولى قضاء الرقة فقال ما أعرف لكم رجلا يصلح لها غير محمد بن الحسن وهو بالكوفة فان شئتم فأشخصوه قال فبعثوا إليه فأشخصوه فلما قدم جاء إلى أبى يوسف فقال ما السبب الذى أشخصت من أجله ؟ . فقال له : شاورونى فى قاض للرقة فأشرت بك ، وأردت بذلك معنى أن الله عز وجل قد بث علمنا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق فأحببت أن تكون بهذه الناحية ليبث الله عز وجل علمنا بك بها وبما بعدها من الشامات . فقال له محمد : سبحان الله أما كان لى فى نفسى من المنزلة ما أخبر بالمعنى الذى من أجله أشخص قبل ذلك فقال له أبو يوسف : هم أشخصوك . ثم أمره أبو يوسف بالركوب فركبا جميعا حتى دخلا على يحى بن خالد بن برمك فرفع يحى أبا يوسف إلى جنبه وقعد محمد دونه فقال أبو يوسف ليحي : هذا محمد فشأنكم به . فلم يزل يحي يخوف محمداً حتى ولى قضاء الرقة وكان ذلك سبب فساد الحال بين أبى يوسف ومحمد اه .
وقد ذكر الذهبي ذلك أيضا فى جزئه ، وهذا هو السبب الوحيد لما حدث بينهما من الجفاء لأن محمد بن الحسن كان شديد الرغبة فى الابتعاد عن الحكم بالانصراف إلى العلم والتعليم على طريقة أبى حنيفة وقد حال دون ما يتوخاه مافعله أبو يوسف فى حقه فتألم حداً حتى هجره إلى أن مات أبو يوسف رحمه الله وهو هاجر له بل يقال إن محمداً لم يحضر الصلاة عليه كما جرى مثل ذلك بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وبين الحسن وابن سيرين وغيرهم لكن الراجح عندى أن سبب عدم حضور محمد في جنازته ببغداد كونه بالرقة وهو قاض بها لأن عزل محمد بن الحسن من قضاء الرقة بعد وفاة أبى يوسف فى عهد قضاء أبى البختري كما سيأتى فكيف يمكنه الحضور فى الجنازة مع إقامته بالرقة .

قال السرخسى فى شرح السير الكبير : لم يذكر محمد فى شىء من كتاب السير الكبير اسم أبى يوسف لأنه صنفه بعد استحكام النفرة بينهما وكلما

احتاج إلى رواية حديث عنه قال أخبرني الثقة وهو مراده حيث يذكر هذا اللفظ اه . ثم ذكر السرخسي خرافة يتحاكاها بعض الاخباريين عن معلى وغيره بدون سند وهي أقصوصة التفاف أهل العلم حول محمد بن الحسن وازدحام المتفقهة بمجلسه ببغداد بعد أن تولى أبو يوسف القضاء ، وحسد أبي يوسف له وبلوغ صيت محمد إلى الرشيد ورغبة الرشيد في مجالسته وتقريبه وتدبير أبي يوسف إبعاد محمد من مجلس الرشيد قبل أن يتصل به ويعلم مبلغ فضله بأن يقول للرشيد ان بمحمد سلس بول لا يستطيع معه اطالة الحديث بالمجلس ويكلم محمداً بأن الرشيد سريع الملل ويوصيه بالقيام عند ما يشير أبو يوسف ثم سعيه في إبعاده عن بغداد حاضرة الخلافة بعد أن قابل الرشيد وأحبه. بأن يوليه قضاء مصر إلى آخر الرواية المصنوعة . وما كان يحق لمثل السرخسي في فضله ونبله أن يملي مثل هذه الأحلوقة من كوة محبسه على تلاميذه الذين يحضرون عند كوة المحبس لتلقي شرح السير الكبير منه باذن من ولي الأمر ولا صحة لها مطلقا ولا يذكرها إلا بعض الاخباريين الذين يدونون الاقاصيص بدون سند لمجرد التسلية حتى لا يوجد شيء في هذا القبيل في كتب الخصوم قبل زمن السرخسي وهم سراع إلى إذاعة مثلها ولو كانوا ظفروا بها لطاروا بها فرحا وأذاعوها فلا شك في كذبها واختلاقها

هي الكذب من أي النواحي أتيتها ! !

فمثل أبي يوسف في جاهه العريض وعلمه الواسع ودينه المتين ووفرة التلاميذ ، وكثرة المؤلفات ــ وكتاب الأمالي له وحده في نحو ثلاثمائة جزء كما يرويه أبو عاصم العامري ــ كيف يحسد تلميذه في كثرة جماعته بل يفتخر به ثم ان محمد بن الحسن كان بالكوفة إلى أن أشخصوه للقضاء كما سبق فكيف يرى أبو يوسف في بغداد كثرة المترددين إلى مجلس محمد فيغيظه ذلك ويحسده ثم كيف يريد إبعاده عن حاضرة الخلافة وهو لم يكن بها بل بالكوفة ، ثم كيف يختلق عليه أبو يوسف مرضا لم يكن به فهل بلغ بأبي يوسف الحمق إلى

أن يعرض نفسه للافتضاح بانتداب الرشيد طبيبا يداوى مرض محمد بن الحسن وعدد الأطباء ببابه كثير أفلم يذكر فى القصة أن الرشيد كان أحبه ، ثم هو لم يشخص لقضاء مصر بل لقضاء الرقة وهى عاصمة الصيف لخلفاء بنى العباس وفى ذلك غاية القرب إلى مجالس الخلفاء على أن عادة محمد فيما يرويه عن ابى يوسف بعد هذا التجافى أن يقول حدثنى الثقة يريد أبا يوسف فكيف يمكنه أن يصف أبا يوسف بالثقة على تقدير صدور تلك المخازى منه . وهكذا تكون الأكاذيب مصحوبة فى الغالب بما يظهر اختلاقها ولعل عذر السرخسى فى سرده الأقصوصة على هذا الوجه انه كان فى المحبس بعيداً عن الكتب وإنما كان يملى ما عليه عن ظهر القلب وكانت تلك القصة علقت بذهنه من قبل من بعض كتب الأسمار ولم يتسع وقته لتمحيصها فوقع فى احبولة تخليدها فيما يمليه وكنا نعهد منه جبلا من جبال العلم لا يتزحزح فى أبحاثه الفقهية فعز علينا أن نراه يملى مثل هذه الاخلوقة المكشوفة فى كتابه الخالد لكن أبى الله أن يصح إلا كتابه كما قال الشافعى للمزنى حينما عرض الرسالة عليه مرات وكان الشافعى يجد فى كل مرة ما يصلحه فيها فقال دعها فان الله أبى أن يصح إلا كتابه أو ما هذا معناه.

زهد محمد بن الحسن فى الحكم وبعده عن المداهنة لأرباب الحكم وصراحته فى بيان الحق

وقد علمت أن لابى يوسف حق الأستاذية عليه ومع ذلك هجره طول حياته بسبب حمله على قبول قضاء الرقة رغبة من أبى يوسف فى نشر علم محمد فى الرقه وما والاها من الشامات وهى رغبة محمودة منه لكن محمد بن الحسن استاء من ذلك غاية الاستياء حيث كان يعتبره صارفا عن العلم مع مخالفة قبول القضاء لخطة أبى حنيفة حتى يروى أن أبا يوسف لما قبل القضاء فى أواخر عهد

المهدى كان محمد عيره بذلك فدعا عليه أبو يوسف قائلا : لاقبض الله روحه قبل أن يبتلى بالقضاء . فابتلى بقضاء القضاة قبل وفاته بمدة بعد أن عزل من قضاء الرقة ومنع من الافتاء مدة طويلة بسبب جوابه الصريح فى مسألة أمان الطالبى المذكورة فى تاريخ ابن جرير وكتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى بأسانيدهم من طرق عديدة بألفاظ متقاربة فى المعنى . قال أبو عبد الله الصيمرى اخبرنا عمر بن إبراهيم المقرى قال حدثنا القاضى أبو بكر مكرم قال حدثنا احمد بن عبيد الله الثقفى قال حدثنا أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز قال حدثنى بكر بن محمد العمى قال حدثنى محمد بن سماعة قال سمعت محمد بن الحسن يقول لما ورد الرشيد الرقة أحضرت فدخلت اليه أنا والحسن بن زياد وأبو البخترى وهب بن وهب (وهو قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف) فأخرج الينا الأمان الذى كتب ليحيى بن عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام) فدفع إلى فقرأته . . . فآثرت أمر الله والدار الآخرة فقلت هذا أمان مؤكد لا حيلة فى نقضه (وفى لفظ الطحاوى رواية ابن أبى العوام ، فجعل ذلك الطالبى على نطع وعلى رأسه رجل فى يده سيف والطالبى يناشد وقد كان هرون أمنه) فانتزع الصك من يدى ودفع إلي الحسن ابن زياد فقرأه وقال بكلمة ضعيفة لا أدرى أنها سمعت أو لم تسمع : هذا أمان فانتزع من يده ودفع إلى أبى البخترى فقرأه ثم قال : ما أرجئه ولا أرضاه هذا رجل سوء قد شق العصا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل فلا أمان له . ثم ضرب بيده إلى حفه وأنا أراه فاستخرج سكينا فشق الكتاب نصفين ثم دفعه إلى الخادم ثم التفت إلى الرشيد فقال : اقتله ودمه فى عنقى . قال فقمنا من المجلس وأتانى رسول الرشيد يبلغنى أن لا أفتى أحداً ولا أحكم (وفى رواية اخرى وجعل للناس عبد الرحمن الهروى يفتيهم) فلم أزل على ذلك إلى أن أرادت ام جعفر أن تقف وقفا فوجهت إلى فى ذلك فعرفتها انى قد نهيت عن الفتيا فكلمت هى الرشيد فأذن لى . قال محمد بن الحسن : فكنت انا وكل من فى الدار ـ

يعنى دار الرشيد ـ نتعجب من أبي البختري وهو حاكم وفتياه بما أفتى به وتقلده دم رجل من المسلمين ثم من حمله فى خفه سكينا . قال: ولم يقتل الرشيد يحيي فى ذلك الوقت وإنما مات فى الحبس بعد مدة . (وفى رواية أخرى أنه قتل فى ذلك المجلس) قال محمد بن سماعة فى حديثه : ثم قرب الرشيد محمد بن الحسن بعد ذلك وتقدم عنده وولاه قضاء القضاة وحمله معه إلى الرى فتوفى هو والكسائى بها في يوم واحد (وقيل مات الكسائى بعد محمد بيومين) فقال الرشيد : دفنت الفقه والنحو بالرى . وقال بكر العمى فى حديثه : إن محمد بن الحسن لما أفتى بصحة الأمان وأفتى أبو البختري بنقضه وأطلق له دمه قال له يحيي (بن عبد الله الطالبى) : يا أمير المؤمنين يفتيك محمد بن الحسن وموضعه فى الفقه موضعه ، بصحة أمانى ويفتيك هذا بنقضه ، وما لهذا وللفتيا ؟ . وإنما كان أبوه طبالا بالمدينة اه . وقال الصيمرى ايضاً : اخبرنا أبو بكر الدامغانى عن أبي جعفر الطحاوي قال حدثنا أبو عبد الله احمد بن سهل الرازى بحديث يحيي ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن عن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أنه قال : أنا حاضر هذا كله من هرون ومحمد بن الحسن وزاد فيه فلما خرج محمد جعل يبكى حتى كثر بكاؤه فقلت له : يا أبا عبد الله أتبكى هذا البكا من أجل هذه الشجة ـ وذلك أن الرشيد كان رماه بدواة فشجه (حينما أفتاه على خلاف هواه فى المجلس) وسالت الدماء على وجهه وثيابه وقال له : إنما يقوى عزم هذا وأمثاله فى الخروج علينا أنت وأمثالك ـ فقال: لا والله ما من أجلها ابكى ، ولكنى ابكى لتقصيرى . قلت : واى تقصير كان منك ؟ وقد قمت مقاما ليس لأحد على وجه الارض اشرف منه . قال : كان ينبغى لما قال أبو البحترى ما قال ان اقول له : من اين قلت ذلك ؟ حتى اقيم عليه الحجة بفساد ماقاله اه .

وأسند ابن أبى العوام عن محمد بن سماعة أنه قال : وأمر هرون أن تفتش كتب محمد بن الحسن خوفا من أن يكون فيها شيء مما يحض الطالبيين على

د الخروج فقال لى محمد ياأبا عبد الله (يعنى ابن سماعة وكان معه فى تلك المحنة) الله الله فى أمرى أحب أن تسبق إلى منزلى فتحفظ كتبي لئلا يلقى فيها ماليس منها ففعلت ولما فتشت كتبه لم يوجد فيهاشيء إلا مجموعة فيها فضائل على عليه السلام فأتى بها إلى هرون الرشيد فقال (يعنى الرشيد) : عندنا أكثر من هذا . قال الطحاوى سمعت بكار بن قتيبة يحدث بهذا الحديث عن هلال بن يحيي عن محمد بن الحسن ويزيد فيه أن هارون التفت إلى محمد بن الحسن فقال هذا أمان لم أكتبه إنما أمرت من يكتبه فما تقول فى رجل حلف أن لا يكتب كتابا فأمر غيره فكتبه ؟ . فقال محمد : ان كان هذا الحال من العامة لم يحنث حتى يتولى ذلك بنفسه وان كان سلطانا حنث لأن كتاب السلطان هو ما كتب بأمره . قال : فبذلك اشتد غيظ هرون عليه وفعل به مافعل . وقال الطحاوى أيضاً : قال أبو خازم فى حديثه قال بكر قال ابن سماعة فلما أمر هرون بقتل الطالبى قال له : ياهرون يقول لك محمد بن الحسن والحسن بن زياد وهما فقيها الدنيا هذا أمان صحيح فلا تقبل منهما ويقول لك هذا الكذاب الدعى هو أمان فاسد فتقبل منه وتأمر بقتلى اهـ . يشير بذلك إلى أن أبا البختري وهب ابن وهب القاضى كان مغموزاً فى نسبه والله أعلم .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى عن أبى خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة انه قال : كنا مع محمد بن الحسن في دار هرون الرشيد (يعنى بعد أن عزل محمد من قضاء الرقة وأصلح ما بينه وبين الرشيد بسعي أم جعفر) فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا هرون أمير المؤمنين فقام الناس إليه جميعا على أقدامهم غير محمد بن الحسن فانه مابرح مكانه فجعل هرون ينظر إليه فلما دخل أذن له دون الناس فقلت فى نفسى أراه يريد أن يخلو بعقوبته على تركه القيام إليه ثم خرج محمد فاتبعته إلى منزله فسألته عن حاله فقال لما دخلت عليه قال لى إنى عزمت على قتل مقاتلة بنى تغلب وأن أسبي ذراريهم فقلت ولم ذاك ياأمير المؤمنين ؟ . وقد صالحهم عمر بن الخطاب على ماصالحهم عليه فقال

لى : ان عمر إنما كان صالحهم على أن لا يصبغوا أولادهم يعنى غمسهم فى المعمودية وقد صبغوا الاولاد فخرجوا بذلك من الامان فقلت إن عمر قد أقرهم بعد صبغهم الأولاد على أمانهم فدل ذلك انه قد كان أمضى لهم أمانهم بلاشريطة عليهم فيه فقال لى إن عمر إنما كان ترك قتالهم بعد ذلك لقصر المدة فقلت له ان المدة وإن قصرت بعد ذلك فانه قد كان بعده إماما عدل طالت مدتهما فلم يهيجاهم ، عثمان وعلى فدل ذلك على أنهما كانا أمضيا لهم الصلح بلاشريطة عليهم فيه فقال لى اخرج اه .

وزاد الصميرى فى روايته بطريق ابن عطية وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب على محمد بن الحسن فقام ودخل الناس من أصحاب الخليفة فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن فقال : محمد بن الحسن . فجزع أصحابه له فأدخل فأمهل ثم خرج طيب النفس مسروراً فقال قال لى : مالك لم تقم مع الناس ؟ . قلت كرهت أن أخرج من الطبقة الذين جعلتنى فيهم ، إنك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج إلى طبقة الخدمة التى هي خارجة منه وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار . وانه إنما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة وإعزاز الملك فهو هيبة للعدو ومن قعد اتبع السنة التى عنكم أخذت فهو زين لكم . قال : صدقت . ثم سأله عن بنى تغلب — ثم ساق جوابه بنحو ماسبق — وقال فى آخره : فهذا صلح من الخلفاء بعده ولا شىء يلحقك فى ذلك وقد كشفت لك العلم ورأيك أعلى . قال : لكنا نجريه على ماأجروه إن شاء الله ، وإن الله أمر نبيه بالمشورة فكان يشاور فى أمره ثم يأتيه جبريل بتوفيق الله ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ومر أصحابك بذلك وقد أمرت لك بشىء تفرقه على أصحابك فخرج له مال كثير ففرقه اه . ومثله فى تاريخ الخطيب وتلك الامور تدل على مبلغ صرامته فى الحق سواء تعلق بالمسلمين او النصارى ودرجة صراحته في ادحاض الباطل وبعده عن المداجاة والمداهنة مهما لقى فى هذا السبيل وصدق عزيمته فى خدمة العلم والدين

نتف لطيفة وفوائد ثمينة يرويها بعض أصحابه عنه

ففي مناقب الكردري عن الحسن بن شهوب أنه قال رأيت محمد بن الحسن يذهب إلى الصباغين ويسأل عن معاملاتهم وما يديرونها فيما بينهم اهـ . انظر إلى هذا المجتهد العظيم كيف كان لا يكتفي بما عنده من العلم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وسائر فقهاء الأمصار وبماله من السعة في العلوم العربية حتى كان يرى نفسه في حاجة الى تعرف وجوه التعامل بين أرباب الصناعات ومعرفة وجوه الفرق بين العرف القديم والعرف الحديث الطارىء حتى يسلم كلامه من الخطأ في أي ناحية من نواحي تبيين أحكام الشرع هكذا يكون بذل الجهد واجتهاد الرأي .

قال ابن أبي العوام حدثني أبو جعفر الطحاوي قال سمعت إبراهيم بن أبي داود (البرلسي) يقول سمعت يحيي بن صالح الوحاظي يقول : حججت [1] مع محمد بن الحسن (زميلا له) وقلت له حدثني بكتابك في كذا ـ من كتبه في الفقه ـ فقال لي : ما أنشط له فقلت أنا أقرؤه عليك فقال لي : أيهما أخف على عندك قراءتي إياه عليك أو قراءتك على ؟ قلت : قراءتي عليك . فقال لي : لا . قراءتي إياه عليك أخف على لأني إذا قرأته عليك استعمل بصري ولساني لاغير ، وإذا قرأت أنت على استعملت بصري وذهني وسمعي فذلك أثقل على اهـ . ونقله الذهبي أيضا في جزئه ، والوحاظي هذا هو الذي كان يفضل محمد ابن الحسن على مالك في الفقه وهو شيخ البخاري أيضاً كما سبق بيانه ، وهي فائدة طريفة .

وذكر البدر الزركشي في البحر المحيط أن محمد بن الحسن قال : إذا كنا نقبل رواية أهل العدل وهم يعتقدون أن من كذب فسق فلأن نقبل رواية

---

[1] وما في تاريخ الخطيب (٢ـ ١٧٩) عن اسمعيل بن عياش في حجهما ، في سنده على انقطاعه ضعفاء وفيه النهراني وعنه يقول النسائي : كذاب ليس بثقة ولا مأمون

أهل الأهواء وهم يعتقدون أن من كذب كفر . أولى اه .

قال ابن أبي العوام سمعت محمد بن أحمد بن حماد يقول سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت معلى بن منصور الرازى يقول : كان محمد بن الحسن إذا خبر أن قوما يذكرون أصحاب أبي حنيفة بسوء تمثل بهذا البيت :

محسدون وشر الناس منزلة من عاش فى الناس يوما غير محسود

وفى مناقب الكردرى عن ابن جبلة أنه قال سمعت محمداً يقول : لا يحل لأحد أن يروى عن كتبنا إلا ماسمع أو علم مثل علمنا اه . وذلك أن أصحاب أبي حنيفة كانت عادتهم أن يجرى الحجاج بينهم فى المسألة يومين أو ثلاثة ايام ثم يدونون المسألة من غير ذكر الحجة فى الغالب اكتفاء بما طال الأخذ والرد بشأنه بذكر الحجج قبل التدوين فاذا سمع أحد المتفقهة منهم يدلون بالحجة يسكن اليها قلبه ، وكذا إذا علم مثل علمهم وإلا يكون أمره تقايداً اعمى .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوى عن إبراهيم بن أبي داود أنه قال سمعت يحيى بن صالح الوحاظى يقول حججت مع محمد بن الحسن فلما كنا بمنى رأيت خالد بن عبد الله (وهو ابو الهيثم الواسطى) فصرت الى مجلسه فازدحم عليه اصحاب الحديث حتى آدوه . فقال : عسى لو سئل هؤلاء عن مسألة من الفقه ما عرفوا الجواب فيها . فقلت : أصلحك الله سلهم فعسى أن يكون فيهم من ليس كذلك . فسأل عن مسألة فأجبته انا فيها فاستحسن جوابى وقال لى ممن علمت هـذا ؟ فقلت من محمد بن الحسن وهو حاج معك . قال فقال لى : إذا فرغنا فامض بى الى مضربه حتى اسلم عليه فلما فرغنا مضيت معه الى محمد بن الحسن فلما رآه قام اليه واعظمه اه .

وروى ايضا عن الطحاوى عن ابن ابى عمران انه سمع الطبرى يقول قال لى حميد أبو العباس كانت الحلقة فى المسجد يوم الجمعة ببغداد لبشر بن الوليد فلم يزل كذلك ونحن نجالسه فيها حتى قدم محمد بن الحسن علينا (من الرقة) فأتيناه فكنا نتعلم منه مسائله هذه ثم نأتى بشر بن الوليد فنسأله عنها فنؤذيه بذلك

فلما كثر ذلك عليه ترك لنا الحلقة وقام عنها . قال الطحاوي فسمعت ابن ابى عمران. يقول سمعت ابا عبد الله محمد بن الحسن بن ابى مالك يقول رأيت بشر بن الوليد يوماً عند ابى وقد ذكر محمد بن الحسن فنال منه فقال له أبى : لا تفعل يا ابا الوليد ثم قال له . هذا محمد قد صار له فى يد الناس ما صار من هذه الكتب التى فيها مسائله التى ولدها وعملها فنحن نرضى منك أن تتولى لنا وضع سؤال مسألة وقد اعفاك الله عز وجل عن جوابها . فقال الطحاوى فسمعت ابن ابى عمران يحدث عنه أو عن ابن الثلجى قال كانوا إذا قرءوا على الحسن بن أبى مالك مسائل محمد بن الحسن هذه قال لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد اه .

وبشر بن الوليد هذا هو راوية ابى يوسف ومنه سمع أبو يعلى الموصلى كتب أبى يوسف حتى إن الذهبى يذكر فى طبقات الحفاظ ما معناه : لولا طول أمد سماع أبى يعلى هذا لكتب أبى يوسف من بشر بن الوليد لعلا سنده وأدرك فلانا وفلانا اه . وهذا يدل على ان كتب أبى يوسف من الكثرة بحيث أن اتمام سماعها يحول دون علو السند مع سرعة المحدثين فى العرض والسماع حتى إن منهم من يسمع جامع البخارى فى ثلاثة أيام وهذا يؤيد ما يقال ان كتاب الامالى لأبى يوسف وحده فى ثلاثمائة جزء وإلا لما أخره سماع كتبه عن علو السند والله أعلم ، والحسن بن أبى مالك من أنبه أصحاب أبى يوسف وأفقههم رحمهم الله .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى ايضا عن سليمان بن شعيب الكيسانى. عن أبيه قال : أملى علينا محمد بن الحسن وقال : إذا اختلف الناس في مسألة فحرم فقيه وأحل آخر وكلاهما يسعه أن يجتهد رأيه فالصواب عند الله عز وجل واحد ، حلال أو حرام ولا يكون عنده حلال وحرام وهو شىء واحد ولكن الصواب عنده عز وجل واحد وقد كلف من وسعه اجتهاد الرأى ان يجتهد رأيه حتى يصيب الحق الذى عنده فى رأيه فان اصاب الحق الذى هو عند الله عز وجل فى

رأيه واجتهاده وسعه ذلك وكان قد اصاب ما كلف به واداه وان كان قد أصاب . ما كلف به من اجتهاده فى رأيه ولم يصب الحق عند الله عز وجل بعينه فقد ادى ما كلف به وكان مأجوراً فاما أن يقول قائل قد احل فقيه وحرم فقيه فى فرج واحد وكلاهما صواب عند الله عز وجل فهذا مالا ينبغي أن يتكلم به ولكن الصواب عند الله عز وجل واحد وقد ادى القوم ما كلفوا به حين اجتهدوا وقالوا باجتهادهم ووسعهم الذى فعلوا وان كان احدهما قد اخطأ الذى كان ينبغي أن يقول به إلا أنه قد اجتهد فقد أدى ما كلف به وان كان اخطأ لأن الصواب عند الله عز وجل فى الاشياء كلها واحد وهذا كله قول أبى حنيفة وأبى يوسف وقولنا . اه .

وهذا يدل على ان أبا حنيفة وأصحابه لم يكونوا من المصوبة واخطأ من حكى عنهم مايوهم ذلك .

وروى أيضا عن الطحاوى قال سمعت محمد بن على (بن معبد) بن شداد العبدى يقول سمعت ابى يقول قدمت الرقة ومحمد بن الحسن قاض عليها فأتيت بابه فاستأذنت عليه فحجبت عنه فانصرفت واقمت بالرقة مدة لا آتيه فبينا انا فى يوم من الايام فى بعض. طرقاتها إذ أقبل محمد بن الحسن على دابته بهيئة القضاء فلما رآنى أقبل على واستبطأنى ووكل بى من يصير بى إلى منزله فلما جلس فى منزله أدخلت عليه فقال لى : ما الذى خلفك عنى مذ قدمت ؟ ، فقد بلغنى أنك ههنا . فقلت له : أتيت منزلك فحجبت عنك وإنما أتيتك كما كنت آتيك وأنت غير قاض . فساءه ذلك وغمه فقال لى : أي حجابى حجبك ؟ . فظننت انه يريد عقوبته فلم أخبره به . فقال لى : إذا لم تفعل فانى أنحيهم كلهم . فقلت له . إذن تظلم من لم يحجبنى قال فدعاهم جميعا وقال لهم لا يدلكم على أبى محمد فى حجبه عنى . ثم التفت إلى فقال . إذا جئت الينا فلا يكون بينى وبينك الا الستر الذى يستر الناس عنى فتنحنح حينئذ وسلم فان كنت انا على حالة يتهيأ لك الدخول فيها أذنت لك بنفسى وان كنت على غير ذلك أمسكت

فانصرفت . فكنت آتيه بعد ذلك والناس على بابه فأتخطاهم وأتخطى حجابه حتى أصل إلى ستره فأتنحنح وأسلم فيقول لى . ادخل يا أبا محمد فأدخل أو يمسك فأنصرف اه .

وروى ايضا عن الطحاوي عن يونس بن عبد الاعلى انه قال قال الشافعي. كان محمد بن الحسن إذا قعد للمناظرة فى الفقه أقعد معه حكما بينه وبين من يناظره فيقول لهذا زدت ولهذا نقصت قال الطحاوى قال لنا أبو العباس الأبلى كان ذلك الرجل عيسى بن هرون اه . وهذا أعدل طريقة فى المناظرة.

قال الصيمرى أخبرنا عبد الله بن محمد الشاهد قال حدثنا القاضى مكرم قال حدثنا احمد بن محمد بن المغلس قال سمعت محمد بن سماعة يقول كان عيسى بن ابان يصلي معنا وكنت أدعوه أن يأتى محمد بن الحسن فيقول هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث فصلى معنا يوماً الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس فى المجلس فلما فرغ محمد أدنيته اليه وقلت له هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث ، أنا أدعوه اليك فيأبى ويقول انتم تخالفون الحديث، فأقبل عليه وقال: يا بنى ما الذى رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابا من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبر بما فيه من المنسوخ ويأتى بالشواهد والدلائل فالتفت إلى بعد ما خرجنا وقال كان بينى وبين النور ستر فارتفع عنى ما ظننت أن فى ملك الله مثل هذا الرجل يظهر للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه اه .

وعيسى بن أبان هذا جبل من جبال العلم وهو راوي كتاب الحجج على أهل المدينه عن محمد بن الحسن ومؤلف كتاب الحجج الصغير فى الرد على ما ادعاه عيسى بن هرون الهاشمى رفيق المأمون فى عهد طلبه للحديث من مخالفة أبى حنيفة لأحاديث صحيحة دونها الهاشمى فى كتاب حتى طلب المأمون إلى العلماء أن يبدوا ما عندهم بشأن كتاب الهاشمى هذا ولم يعجبه ما كتبه إسماعيل بن حماد

ولا ماسطره بشر ولا ما جمعه يحيى بن أكثم وانما أعجبه غاية الاعجاب كتاب عيسى بن أبان هذا واعتبره قاضيا على كتاب الهاشمى والقضية معروفة فى كتاب ابن أبى العوام وكتاب الصيمرى . ولعيسى بن أبان هـذا أيضا كتاب الحجج الكبير فى الرد عـلى قديم الشافعى وهو سبب انصرافه من العراق فى رحلته الأخيرة من غير أن يمكث بها إلا أشهراً يسيرة حيث لم يجد متسعا لنشر قديمه بالعراق بعد كتاب عيسى بن ابان ، ولعيسى بن أبان ايضا كتاب فى الرد على المريسى والشافعى في شروط قبول الأخبار وتحتوى كتبه على نتف فى الأصول ينقلها من محمد بن الحسن ، وابو بكر الرازى كثير النقل من كتبه فى اصوله . والحاصل أن عيسى بن أبان هذا يعد جبلا من جبال الحجاج فى الفقه .

بعض اقوال منقولة عن احمد بن حنبل بشأن

كتب محمد بن الحسن

قال الخطيب حدثنى الخلال قال أخبرنا على بن عمرو أن على بن محمد النخعى حدثهم قال أخبرنا أبو بكر القراطيسى قال أخبرنا إبراهيم الحربى قال سألت احمد ابن حنبل وقلت هذه المسائل الدقائق من أين لك ؟ قال من كتب محمـد بن الحسن اهـ . ونقل الشيخ عبـد الحى اللكنوى فى مقدمة تعليقه على موطأ الامام محمد عن أنساب ابن السمعانى عن أحمد بن حنبل أنه قال إذا كان فى المسألة قول ثلاثة لم يسمع مخالفهم فقيل له من هم ؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ابن الحسن فابو حنيفة أبصرهم بالقياس وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار ومحمد أبصر الناس بالعربية اهـ .

وفى كتاب محنة احمـد بن حنبل عن موسى بن حزام الترمذى أنه قال

كنت أختلف إلى أبي سليمان الجوزجاني في كتب محمــد بن الحسن فاستقبلني، أحمد بن حنبل عند الجسر فقال لي إلى أين ؟ فقلت : إلى أبي سـليمان . فقال، لي احمد : العجب منكم تركتم إلى النبي صلى الله عليه وسـلم ثلاثة وأقبلتم إلى ثلاثة إلى أبي حنيفة . فقلت كيف ذلك ياأبا عبد الله ؟ فقال : يزيدبن هرون بواسط يقول حدثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم وهذا يقول حدثنا محمد بن الحسن عن يعقوب عن أبي حنيفة . قال موسى بن حزام فوقع قوله في قلبي فاكتريت زورقا من ساعتــه فانحدرت إلى واسط فسمعت من يزيد بن هرون اه . يعني ماتيسر من الحديث معرضاً عن التفقه .

وقال عاصم بن عصام الثقفي : كنت عند أبي سليمان الجوزجاني فأتاه كتاب احمد بن حنبل : إنك إن تركت رواية كتب محمــد جئنا إليك لنسمع منك الحديث ، فـكتب إليه على ظهر رقعته : ما مصيرك إلينا يرفعنا ، ولا قعودك عنا يضعنا ، وليت عندي من هذه الـكتب أوقاراً حتى أرويها حسبة . كما رواه الكردري ، وجرى من أحمد مثل ذلك نحو يحيي بن صالح الوحاظي فتلقى منه ما هو من قبيل هذا الجواب، حتى إنه سمع ما هو أقسى من هذا (١) من بعض أصحابه حينما بدر من احمد ما هو من قبيل النيل من أبي حنيفة .

فياترى ما هو الداعي له إلى هذا الاضطراب ؟ تراه يثني على كتب محمد ابن الحسن وعلمه مرة وتراه يسعى مرة أخرى في صرف المستمعين إلى كتبه من سماعها بأن يقول هناك علو السند وهو يعـلم ان السماع بعلو بدون تفقه قليل الجـدوى ، وفي طور آخر يسعى عنـد القائمين برواية كتبه ليصرفهم أنفسهم عن روايتها بوعد التردد اليهم ـ إذا عدلوا عن رواية كتبه ـ لأخذ العلم عنهم . ومتى رأى الناس تلميذاً يملي على الأستاذ ما يشاء في تخير العلوم ؟ يقول تلميذ لعالم إني آتيك لأخذ العلم منك إذا تركت تعليم العلم الفلاني وهذا

[١] ونصه « إن قولة من قول أبي حنيفة أنفع من ملء الارض مثلك » كما في مناقب أحمد لابن الجوزي .

طريف جداً . ثم تبدر منه بادرة فتقابل بقسوة بالغة كل ذلك مما يصعب تعليله.

والحق ان احمد بن حنبل تفقه فى مبدأ أمره عند أبى يوسف ثلاث سنين وسمع منه الحديث وكتب عنه ثلاثة قماطر من العلم كما ذكره الحافظ ابن سيد الناس فى شرح السيرة وغيره ، واستفاد من كتب محمد أيضاً كما هنا . ثم زهد فى الرأى مطلقاً أعنى الفقه المستنبط . وكلامه فى رأى مالك والثورى والشافعى وأبى عبيد وأبى ثور وفتياهم معروف فى مناقب أحمد لابن الجوزى وغيره . وقد أشرنا الى بعضها فيما علقناه على الانتقاء لابن عبد البر بل انه لما سمع ان ابا يعقوب اسحق بن منصور الكوسج يروى عن احمد نفسه مسائل فى الفقه والرأى بخراسان استاء من ذلك جداً وأشهد علي نفسه انه رجع عن تلك المسائل كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم مع أن كتاب اسحاق بن منصور فى مسائل أحمد وابن راهويه حقيق بأن يعد أوثق الكتب فى مسائلهما وعليه يعول الترمذى فى ذكر آراء احمد وابن راهويه فى الجامع ـ وكتاب اسحاق بن منصور هذا من محفوظات الظاهرية بدمشق ـ ولم يكن هذا التراجع من أحمد لبطلان تلك الفتاوى بل من تورعه من أن يكون قدوة فى الفتيا حذراً من تبعة الخطأ فيها بل قطع التحديث قبل وفاته بنحو ثلاث عشرة سنة كما ذكره ابو طالب المكى وغيره فلو كان يتحمل تبعة رواية ماعنده من الأحاديث لما ساغ له قطع التحديث وكتم العلم ، وليس بقليل بين اهل الرواية من غسل كتبه التى أفنى عمره في سبيل جمعها وروايتها ، خوفا من تبعة الرواية .

وأنت تعلم أن جمع القرآن فى عهد ابى بكر رضى الله عنه كان مقرونا بكثير من التروى حتى طال الأخذ والرد فى ذلك بين الشيخين إلى أن اقتنع ابو بكر رضى الله عنه بضرورة الجمع مع ظهور الحاجة اليه ، وكذلك لما أراد عثمان رضى الله عنه تكثير نسخ القرآن وإرسالها الى أمصار المسلمين . وكان كثير من الرواة فى الصدر الأول لا يرون بادئ بدء كتابة الحديث ولا تدوينه

وكذلك التفسير والفقه الى غير ذلك من العلوم وهذا التحرج كلما كان أقدم عهداً كان أقرب الى العذر لـكن يستغرب حـدوثه فى المائه الثالثة بعد أن مضت الأمة على تدوين العلوم كلها وأقر الجمهور بالحاجة الى ذلك .

ومن تصور ماذاكان يحـدث ؟ لولم يجمع القرآن بين الدفتين ولم ترسل نسخه المنسوخة تحت إشراف الصحابة إلى امصار المسلمين بوضعها تحت عناية قراء معروفين ولم يدون الحديث وعلومه ولم تؤسس قواعد الاصول ولم تؤلف كتب الفقـه وسائر العلوم من شرعية وأدبية وغـيرها ، ولا حظ ذلك حق الملاحظة لا يتردد لحظة فى سداد مامضت عليـه الامة . والامام احمـد بن حنبل أسوة غـيره من العلماء له أن يرى ما يشاء فى الرأى والرواية والفقه والحديث تحت مسؤليتـه وله أن لا يرضى أن يكون قدوة فى هـذا أو ذاك لـكن ليس للناس أن يتخذوه قدوة فيما لا يرضى أن يكون هو قدوة فيـه على خلاف رغبته وقد قام سائر الأئمة قبله وبعده بما رأوه واجبا عليهم ونحن على آثارهم مهتدون .

وصفوة القول أن الامام احمد بن حنبل كان فى مبدأ أمره يكتب الحديث والفقه ويحسن القول فى أبى حنيفة وأصحابه ثم اضطربت أقواله فى أيام المحنة وكان آخر أمره إحسان القول فى أبى حنيفة كما ذكره أبو الورد من أئمة الحنابلة فى كتابه فى اصول الدين عـلى ما نقله العلامة سليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبـلى فى شرح مختصر الروضة فى أصولهم وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق وهو من جملة مامسخه ابن بدران قيض الله من يصلح من شأنه .

وأما مايعزى إلى بعض أصحاب احمـد من الـكلام فى أبى حنيفة واصحابه فليس مما يضع من شأن هؤلاء الأئـمة الفقهاء فدونك كتاب السنة لعبد الله ابن احمـد وطبقات أبى الحسين بن أبى يعلى وجامع حرب بن إسماعيل ونقض عثمان بن سـعيد فتستبين منها معتقد الطاعنين فتعرف قيمة طعونهـم هل هى مما يلحق بهؤلاء الأئمة الفقهاء فيضع من عظيم مقـدارهم أم هى ممـا

يسفه أحلام المتقولين فيرديهم .

قول محمد بن الحسن فى المسائل التى كان النزاع قائماً فيها

فى عهده مما يتعلق بالاعتقاد

قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى فى شرح السنة : حدثنا إسماعيل بن الحسين البخارى المعروف بالزاهد بالرى قال سمعت أبا محمد سهل بن عثمان بن سعيد قال حدثنا احمد بن خالد قال سمعت أباعبدالله ابن أبى حفص قال سمعت أبا عصمة سعد بن معاذ الدورقى يقول سمعت أباسليمان الجوزجانى يقول سمعت محمد بن الحسن يقول: من قال القرآن مخلوق فلاتصلوا خلفه ا ه . يعنى ما هو قائم بالله ، واما خط الكاتب وصوت التالى ، والصور الذهنية فىذهن الحافظ فحدوثها محسوس مشاهد فمن حاول انكار ذلك وا كفر فيما هو غير قائم بالله فهو مكابر للحس معاندللبديهة مهما كان مقامه بين الرواة فيرثى لدين من دون فى كتابه سياق ما روي فى تكفيرمن وقف فى القرآن ، يريدمن وقف عن النطق بأنه غيرمخلوق بالنظر إلى عدم ورود ذلك فى الكتاب والسنة الصحيحة ، وسياق ما روى فى تكفير من قال لفظي بالقرآن مخلوق بناء على حدوث اللافظ ولفظه . وبلغ غلو بعض الرواة فى ذلك مبلغا يخاف منه ونصرح بكل أسف أن ابن أبى حاتم وبنومنده الحفاظ فى عداد هؤلاء الغلاة .

وقال اللالكائى ايضاً اخبرنا محمد بن سليمان ثنا أبو على الحسن بن يوسف ابن يعقوب ثنا أبو محمد احمد بن على بن زيد الغجدوانى ثنا أبو عبد الله محمد ابن أبى عمرو الطواويسى ثنا عمرو بن وهب قال سمعت شداد بن حكيم يذكر عن محمد بن الحسن فى الأحاديث التى جاءت ـ إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الاحاديث ـ أن هذه الاحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها و نؤمن بها ولا نفسرها اه . وقال ايضاً أخبرنا احمد بن محمد بن حفص حدثنا محمد بن

احمد بن سلمة حدثنا أبو محمد سهل بن عثمان بن سعيد بن حكيم السلمى سمعت أبا إسحق إبراهيم بن احمد يقول سمعت أبا سيمان داود بن طاحة يقول سمعت عبيد الله بن أبى حنيفة الدبوسى يقول سمعت محمد بن الحسن يقول : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على أن الايمان بالقرآن والاحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شىء اه .

وهذا رد على المتقولين بأنه كان يدعو إلى القول بخلق القرآن أو إلى رأى جهم وكان لا يرى الخوض فى الصفات كما هو مذهب السلف الصالح وهو المختار بالنظر إلى ذلك العهد ثم جد من النحل مايقضى بضرورة التأويل دفعاً للشبه وقمعاً للقائلين بالصوت والحركة ونحوهما فى جانب الله تعالى الله عن ذلك .
وقال الصيمرى اخبرنا عبد الله بن محمد نا مكرم نا محمد بن مسرور ثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد قال حدثنا شعيب بن أيوب عن الحسن بن زياد قال سمعت محمد بن الحسن يقول : مذهبى ومذهب أبى حنيفة وأبى يوسف ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على (رضى الله عنهم) اه . وقوله فى الايمان كقول أبى حنيفة فيه أنه العقد والكلمة وتفصيل ما كان عليه من المعتقد فى الأبواب كما هو مبين فى عقيدة الطحاوى ، ومن ضاق صدره من ذلك وأخذ يرميه بالتجهم أو الارجاء فهو بعيد عن السنة بعد الارض عن السماء .

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن

ذكر ابن أبي العوام الحافظ بسنده أن مالك بن انس قال يوما وعنده أصحاب الحديث : ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه معنى ـ وكان في الجماعة محمد بن الحسن فوقعت عينه عليه فقال ـ إلا هذا الفتى اه.وأنت تعلم انه أتاه ابن المبارك ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وهو فضله بهذا اللفظ عليهم ، وذكر ايضاً بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت أعلم بكتاب الله عز وجل من محمد بن الحسن كأنه عليه نزل،وقال ايضا : ما سمعت احداً قط كان إذا تكلم رأيت أن القرآن نزل بلغته غير محمد بن الحسن، ولقد كتبت عنه حمل جمل بختى ذكر . قال وإنما ذكرت البختي الذكر لأنه يحمل أكثر مما يحمل غيره من الابل ، وذكر أيضا أن المزنى قال له رجل قال محمد .فقال له : من محمد ؟ قال ابن الحسن فقال مرحبا بمن يملأ الأذن سمعا والقلب فهما ثم قال ما انا قلته، الشافعي قاله . وذكر الصيمري بسنده ان الشافعي قال : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً إني لأعرف الاستاذية علي لمالك ثم لمحمد بن الحسن ، وقال أيضاً لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن ما جالست فقيها قط أفقه منه ولا فتق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجز عنه الأكابر ، وقال ايضا : لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولولاه مافتق لى من العلم ما انفتق والناس كلهم عيال على اهل العراق واهل العراق كلهم عيال على اهل الكوفة واهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة ، وقال المزني عن أصحاب محمد بن الحسن : كانوا والله يملؤن الآذان إذا تكلموا ويفتحون للفقهاء ما ينغلق عليهم إذا عقلوا ، فنظر اليه أصحابه فقال والله ما أنا قلته من قبل نفسي حتى سمعت الشافعي يقول ما هو اكثر منه ، وقال الشافعي أيضا : ما رأيت أفصح من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً ما سألت أحداً عن

مسألة إلا تبين لى تغير وجهه إلا محمد بن الحسن .

وذكر الخطيب بسنـده قال الشافعى : لو أشاء أن أقول أن القرآن نزل بلغة محمـد بن الحسن لقلته لفصاحته وقال أيضاً : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن وما رأيت افصح منه ، وقال ايضا ما رأيت أعقل منـه ، وقال ايضاً حملت من محمد بن الحسن وقر بختى كتبا ، وقال ايضا كان محمد بن الحسن الشيبانى إذا أخذ فى المسألة كأنه قرآن ينزل عليـه لايقدم حرفا ولا يؤخر ، وقال أيضا لرجل قال له خالفك الفقهاء : وهل رأيت فقيها قط ؟ إلا أن تـكون رأيت محمد بن الحسن فانه كان يملأ العين والقلب وما رأيت مبدنا قط أذكى من محمـد بن الحسن . وقال أيضا : أمنّ الناس على فى الفقه محمد ابن الحسن .

وذكر كثيراً منها النووى فى التهذيب والذهبى فى جزئه ومن جملةما ذكره الذهبى فى جزئه مارواه ابن كاس النخعى عن احمد بن حماد بن سفيان عن الربيع عن الشافعى انه قال : ما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أحسن نطقا وايراداً من محمد بن الحسن .

قال الذهبى لم يروه غير احمد بن حماد أقول احمد بن حماد لم يتـكلموا فيه وله شواهد ، وفى مناقب الـكردرى عن الشافعى أنه قال : أعاننى الله برجلين بابن عيينة فى الحديث ومحمـد بن الحسن فى الفقه ، وفيه عنـه ايضا : لقيته أول ما لقيته وهو قاعد فى الحجرة وقد احتمع عليه الناس فنظرت إلى وجهه وكان من أحسن الناس وجها فاذا جبينه كأنه عاج ثم نظرت إلى لباسـه وكان من أحسن الناس لباساً وسألته عن مسألة فيها خلاف وإنى أطمع أن يلحقه ضعف أو أن يلحن فى كلامه فمر كالسهم فقوى مذهبه ولم يلحن فى كلامه ، وفيه ايضا عنه : كنت أختلف إلى محمد بن الحسن وأجالسه حتى سمعت كتبه ، وفيه ايضاً عنه : ليس لأحد على منة فى العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد بن الحسن على . وكان يترحم عليه فى عامة الأوقات . وفيه عنه أيضاً : مارأيت رجلا أعلم بالحلال

والحرام والناسخ والمنسوخ من محمد . وفيه عنه ايضا : ما رأيت احداً أعلم بالفتيا من محمد بن الحسن كأنه كان يوفق لها . وفيه عنه ايضا : ما رأيت مثل محمد ينطق بالحكمة ويسمع ما لا يحب فيحتمل .

وذكر البدر العيني فى (مغانى الأخيار فى رجال معانى الآثار) عن ابن الأثير وابن كثير وغيرهما من أقوال الشافعي فى محمد بن الحسن مالا يخرج مما تقدم ، وكذا التقى التميمى فى طبقاته .

وأخرج ابن أبى العوام بسنده عن داود الطائى انه قال فى حق محمد بن الحسن ـ وهو حدث ـ : إن عاش فسيكون له شأن وعن أبى يوسف فى حفظ محمد بن الحسن ـ وهو شاب : هكذا يكون الحفظ . وعنه ايضاً فى حق محمد بن الحسن ـ وهو صغير ـ : أى سيف هو غير أن فيه صدأ وهو يحتاج إلى جلاء ، وعنه ايضاً في حق محمد : هو أعلم الناس ، وفي لفظ من أعلم الناس . وعن يحيى ابن معين : كتبت الجامع الصغير عن محمد بن الحسن اهـ ـ وهو فى تاريخ ابن معين رواية الدورى عنه وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق ـ وأخرج ابن أبى العوام أيضا عن الحسن بن أبى مالك أنه قال حينما قرءوا عليه مسائل محمد بن الحسن هذه : لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد اه وأسانيد ذلك كله فى كتاب ابن أبى العوام الحافظ .

وأخرج الصيمرى بسنده عن أبى عبيد أنه قال : ما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن اه . وفى مناقب الكردرى عن محمد بن سلام أنه قال : أنفقت على كتب محمد عشرة الآف درهم ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت إلا بكتب الرجل الصالح محمد بن الحسن . وسئل عيسى بن أبان ، أبو يوسف أفقه أم محمد ؟ فقال اعتبروا بكتبهما . يعنى أن محمداً أفقه . وعن محمد بن سلمة : أنه جزأ الليل ثلاثة أجزاء جزء للنوم ، وجزء للصلاة ، وجزء للدرس . وكان كثير السهر فقيل له : لم لا تنام ؟ . قال : كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلا علينا وهم يقولون إذا وقع لنا أمر

يرفعناه إليه فيكشفه لنا فاذا نمنافيه تضييع للدين اهـ .

وفى تاريخ الخطيب (ج ٢ ص ١٧٤) بسنده إلى إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة أنه قال : كان محمد بن الحسن له مجلس فى مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة اهـ . وذكر الذهبي فى حزنه : ويحكى عن محمد بن الحسن ذكاء مفرط وعقل تام وسودد وكثرة تلاوة ، قال الطحاوى : سمعت احمد بن أبى عمران يحكي عن بعض أصحاب محمد بن الحسن أن محمداً كان حزبه فى كل يوم وليلة ثلث القرآن ، قال أبوخازم سمعت بكر بن محمد العمى يقول : إنما أخذ ابن سماعة وعيسى بن أبان حسن الصلاة من محمد بن الحسن انتهى ماذكره الذهبي .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوى عن ابن أبى عمران عن محمد بن شجاع أنه كان يقول على انحرافه من محمد بن الحسن (ميلا منه إلى شيخه الحسن ابن زياد) : ما وضع فى الاسلام كتاب فى الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير . وروى أيضاً عن الطحاوى عن محمد بن الحسن بن مرداس عن محمد بن شجاع أنه قال : مثل محمد بن الحسن فى الجامع الكبير كرجل بنى داراً فكان كلما علاها بنى مرقاة يرقى منها إلى ماعلاه من الدار حتى استتم بناءها كذلك ثم نزل عنها وهدم مراقيها ثم قال للناس : شأنكم فاصعدوا اهـ .

والحق أن هذا الكتاب آية فى الابداع ينطوى على دقة بالغة فى التفريع على قواعد اللغة وأصول الحساب خلا مايحتوى عليه من المضى على دقائق أصول الشرع الأغر فلعله الفه ليكون محكا لنعرف نباهة الفقهاء وتيقظهم فى وجوه التفريع ، يحار العقل فى فهم وجوه تفريعه فى ذلك إلى أن تشرح له وهو كما قال ابن شجاع أولا وآخراً إلا أن مرا فى الكتاب أعيدت إلى أبواب الكتاب كما يظهر من شرحى الجمال الحصيرى على الجامع الكبير حيث يقول فى صدر كل باب من ابواب الكتاب : أصل الباب كذا ، وبنى الباب على كذا . فبذلك سهلت معرفة وجوه التفريع جداً .

قال محمد بن سعد : نشأ بالكوفة وطلب العلم وطلب الحديث وسمع

سماعا كثيراً وجالس أبا حنيفة وسمع منـه ونظر فى الرأى فغلب عليه وعرف به ونفذ فيـه وقدم بغداد فنزلها واختلف اليه الناس وسمعوا منـه الحديث والرأى اه .

وذكر الخطيب بسنده عن على بن المدينى أنه سئل عن محمد بن الحسن فقال صدوق ومثله فى المنتظم لابن الجوزى وتعجيل المنفعة لابن حجر وقال الذهبى في جزئه احتج الشـافعى به فى الحـديث وقال الذهبى ايضاً فى ميزان الاعتدال : لينه النسائى وغيره من قبل حفظه وكان من بحور العلم والفقه قويا فى مالك اه . فياليت شـعرى كيف يكون قويا فيما سمعـه عرضا ، ليناً فى ما أفنى فيه عمره وحقاً ان اهل الجرح قعدوا على شفا حفرة من النار كما يقول ابن دقيق العيد ، وقال البدر العينى فى رجال معانى الآثار : قال سبط ابن الجوزي فى مرآة الزمان قال علماء السير : كان محمـد بن الحسن اماماً حجة فى جميع العلوم قلت والذى ينقله جده فى كتاب الضعفاء فى حقه عن احمـد بن حنبل ويحيى بن معين تحامل لحاشى هذين الامامين أن يتـكلما بسوء فى مثل الامام محمد مع علمهما واعترافهما بعلمه الغزير وديانته وأمانته وثقته وورعه وزهده ومناقبه كثيرة جداً انتهى ماذكره البدر العينى .

وقال ابن أبى حاتم عن أبيه ان فى كتاب السير لمحمد بن الحسن صاحب الرأى عن الواقـدى أحاديث فلم يضبطوا عن محمد بن الحسن ورووا عن محمد بن الحسن عن الواقـدي أحاديث وروي الباقى عن محمد بن الحسن عن مشايخ الواقدى مثل خارجة بن عبـد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت ، وعن محمد بن هلال ، وعن الضحاك بن عثمان وهذا كله عن الواقدى فجعلوه عن محمـد بن الحسن عن هؤلاء المشايخ اه .

فان كان يريد بالكلام المذكور الطعن فى تلك الاحاديث باعتبار أنها مروية بطريق الواقدى فالواقدى وثقه غير واحد من الأقدمين وإن طعن فيه اناس لأسباب لـكنها غير مقبولة عند هؤلاء وان كان يريد أنه يروي مرة عن

الواقدى عن المشايخ ثم يروى أحاديث أخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة من غير توسط الواقدى فما المانع من أن يكون محمد سمع أحاديث من الواقدى عن مشايخه وسمع أحاديث أخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة ومحمد قديم الحج وقد أدرك من هو فى طبقة هؤلاء من مشايخ المدينة كأسامة الليثى وعبيدالله العمرى وابن أبى ذئب . وقد قال البدر العينى رواية عن أبى حفص : أن الواقدى كان يأتى إلى محمد بن الحسن فيقرأ عليه محمد كتاب المغازى ويقرأ عليه الواقدى كتاب الجامع الصغير، ومثله فى مناقب الكردرى . وهذا من رواية الأقران بعضهم من بعض وكيف يستغنى محمد عن مثل الواقدى فى المغازى ولم يستغن أبو يوسف عن محمد بن إسحاق فى ذلك ولا يتحاكم فى مثل هذا الامام الجليل إلى مثل العقيلى وابن عدى من أذيال الحشوية . وكان محمد بن الحسن بعيداً عن مداراة حشوية الرواة صريحا فى استسخاف أحلامهم كشيخه أبى حنيفة فطالت ألسنتهم فيهما بخلاف أبى يوسف فانه كان يداريهم حتى قالوا أبو يوسف كان منصفاً فى الحديث واما أبو حنيفة ومحمد فكانا مخالفين للأثر . وليس بين أئمتنا من يناهض السنة الصحيحة ولكن من يرى جلوس الرب على العرش وحركته وقدم الحرف والصوت والانحياز إلى الخوارج فى مسألة الايمان أو إلى القدرية يتقول ما يشاء من غير أن يلتفت إلى هرائه أحد سوى أشكالهم فى الغواية هداهم الله .

كتب محمد بن الحسن ومصنفاته

لم يصل إلينا من أى عالم فى طبقته ، كتب فى الفقه قدر ماوصل إلينا من محمد بن الحسن بل كتبه هى العماد للكتب المدونة فى فقه المذاهب فكم رأينا بين المحامين الباحثين فضلا عن قضاة الشرع الفقهاء من يرغب رغبة صادقة فى

نشر كتب محمد بن الحسن اعترافاً منهم بأن كتبه هى أسس الكتب المدونة فى فقه المذاهب

وقد قام جماعة من فطاحل العلماء بالهند تحت رياسة العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء حفظهم الله بالبحث عن كتب الأقدمين من الفقهاء فى خزانات العالم لنشرها تترى ومسعاهم هذا مشكور جداً لقيامهم بواجب عظيم كان أهل الشأن أهملوه قرونا سدد الله سبحانه خطواتهم ووفقهم لانتاج هذا العمل النافع انه سميع مجيب .

ولا يخفى مبلغ استمداد الكتب المدونة فى المذاهب من كتب محمد بن الحسن فالأسدية التى هى أصل المدونة فى مذهب مالك إنما الفت تحت ضوء كتب محمد كما سبق والشافعى إنما ألف قديمه وجديده بعد أن تفقه على محمد وكتب كتبه وحفظ منها ما حفظ ، وابن حنبل كان يجاوب فى المسائل من كتب محمد وهكذا من بعدهم من الفقهاء .

فأكبر ما وصل الينا من كتب محمد هو كتاب الأصل المعروف بالمبسوط وهو الذى يقال عنه أن الشافعي كان حفظه وألف الأم على محاكاة الأصل وأسلم حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعة المبسوط هذا قائلا هذا كتاب محمدكم الأصغر فكيف كتاب محمدكم الأكبر. وهو فى ستة مجلدات وكل مجلد منها نحو خمسمائة ورقة يرويه جماعة من اصحابه مثل أبى سليمان الجوزجانى ومحمد بن سماعة التيمى وأبو حفص الكبير البخارى وقد قدر الله سبحانه ذيوعا عظيما لهذا الكتاب يحتوي على فروع تبلغ عشرات الألوف من المسائل فى الحلال والحرام لا يسع الناس جهلها وهو الكتاب الذى كان أبو الحسن بن داود يفاخر به أهل البصرة وطريقته فى الكتاب سرد الفروع على مذهب أبى حنيفة وأبى يوسف مع بيان رأيه فى المسائل ولا يسرد الأدلة حيث تكون الأحاديث الدالة على المسائل بمتناول جمهور الفقهاء من أهل طبقته وإنما يسردها فى مسائل ربما تعزب أدلتها عن علمهم فلو جردت الآثار من هذا الكتاب الضخم تكون

فى مجلد لطيف وتوجد عدة نسخ كاملة منه فى خزانات اصطنبول منها ما هو فى ستة مجلدات وهي نسخة مكتبة فيض الله ومنها ما هو فى اربعة مجلدات وهى نسخ مكتبات جار الله وولى الدين وقوه مصطفى باشا ومراد ملا وأقدمها نسخة مراد ملا وكلها من رواية الجوزجانى وعدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط ، ويوجد فى مكتبة الازهر مجلد من أوله وفى دار الكتب المصرية عدة مجلدات باسم الأصل وباسم كتاب فى الفروع من غير أن تتم بها نسخة واحدة.

ومما وصل الينا من كتبه ، الجامع الصغير وهو كتاب مبارك مشتمل على نحو الف وخمسمائة واثنتين وثلاثين مسألة قد ذكر فيه الاختلاف فى مائة وسبعين مسألة ولم يذكر القياس والاستحسان إلا فى مسألتين وقدر الله سبحانه الذيوع البالغ له ايضا حتى شرحه أئمة أجلاء استقصى الشيخ عبد الحى اللكنوى في (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) ذكر شراحه . ومن جملة رواته فى اثبات الشيوخ ، الجوزجانى وأبو حفص وعلى بن معبد ، وبوبه أبو طاهر الدباس والزعفرانى وليس فيه غير سرد المسائل . وكان سبب تأليفه أن أبا يوسف طلب من محمد بعد فراغه من تأليف المبسوط أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبى حنيفة فجمع هذا الكتاب ثم عرضه عليه فقال نعما حفظ عنى أبو عبد الله إلا أنه أخطأ فى ثلاث مسائل فقال محمد أنا ما أخطأت ولكنه نسى الرواية . ويقال إن أبا يوسف مع جلالة قدره كان لا يفارق هذا الكتاب فى حضر ولا سفر . وطبع الجامع الصغير هذا فى الهند بتعليق الشيخ عبد الحى اللكنوى وفى اصطنبول ومصر.

ومن كتب محمد ايضاً كتاب السير الصغير يرويه عن أبى حنيفة وحاول الأوزاعى الرد علي سير أبى حنيفة فجاوبه أبو يوسف ومنها الجامع الكبير وهو كتاب جامع لجلائل المسائل مشتمل على عيون الروايات ومتون الدرايات بحيث كاد أن يكون معجزاً كما يقول الأكمل في شرحه على تلخيص الخلاطى للجامع الكبير ، وسبق أن نقلنا قول ابن شجاع فيه : انه لم يؤلف فى

الاسلام مثله فى الفقه. وقال الامام المجتهد أبو بكر الرازى فى شرحه على الجامع الكبير : كنت أقرأ بعض مسائل من الجامع الكبير على بعض المبرزين فى النحو (يعنى أبا على الفارسى) فكان يتعجب من تغلغل واضع هذا الكتاب فى النحو . وروى ابن أبى العوام بسنده عن الأخفش ثناء بالغاً فى حق هذا الكتاب من جهة موافقته للعربية تمام الموافقة وكتب العلامة الشريف النقيب جمال الدين بن عبيد الله من الموصل بتاريخ المحرم سنة خمس عشرة وستمائة إلى القاضى شرف الدين بن عنين يقول فيه : كنت مذ زمن طويل تأملت كتاب الجامع الكبير لمحمد بن الحسن رحمه الله وارتقم على خاطرى منه شىء والكتاب فى فنه عجيب غريب لم يصنف مثله إلى أن سأل فيه عن مسائل استشكلها وأجاب عنها الملك المعظم عيسى وأوردها فيما رد به على الخطيب وذكر نصوصاً من الكتاب المذكور مما يدل على تغلغل محمد وشيخه فى أسرار العربية . وهذا الكتاب يعد ألقية الفقهاء ، يختبر به تفاوت مداركهم ومبلغ يقظتهم فى الفقه. وقد أقر جماهير أهل العلم باستبحار واضعه فى العربية وبأنه حجة فى اللغة كما أنه حجة فى الفقه وقد أقر بذلك ابن تيمية فى مواضع على انحرافه من أهل الرأى مع أنك ترى الشافعية أنفسهم يختلفون فى كون الشافعى حجة فى اللغة كما يستفاد من بحث مفهوم الصفة فى البرهان لابن الجوينى .

وقد شرح هذا الكتاب عشرات من الأئمة ولم تزل تلك الشروح الخالدة محفوظة فى خزانات العالم ، وتوجد نسخ عديدة من الجامع الكبير فى مكتبات اصطنبول وأقدمها نسخة مكتبة الفاتح بها وتوجد ايضا نسخة فى مكتبة ولى الدين شيخ الاسلام وفى مكتبة (ينى جامع) بها ايضاً ، وقد روى الجامع الكبير عن محمد جماعة كثيرة من أصحابه وفى جملة هؤلاء على بن معبد بن شداد.

ومنها الزيادات وزيادة الزيادات ألفهما بعد الجامع الكبير استدراكا لما فاته فيه من المسائل وتعدان من أبدع كتبه وقد عنى أهل العلم ، بشرحهما عناية كاملة وتوجد نسخ منهما فى خزانات اصطنبول وهما من الكتب المروية.

عنه بطريق الشهرة وغلط من ذكرها فى عداد النوادر ويقال فى سبب تأليفه للزيادات ان أبا يوسف فرع فروعا دقيقه فى أحد مجالس إملائه ثم قال : يشق تفريع هذه الفروع على محمد بن الحسن . ولما بلغه ذلك الف الزيادات لتكون حجة على أن أمثال تلك الفروع وما هو أدق منها لا يشق عليه تفريعها والله تعالى أعلم .

ومنها كتاب السير الكبير وهو من أواخر مؤلفاته ألفه محمد بعد أن انصرف أبو حفص الكبير إلى بخارى فانحصرت روايته فى البغداديين مثل الجوزجانى وإسماعيل بن توبة القزوينى وقد احتفى الرشيد بهذا الكتاب جداً وأسمعه ابنيه الأمين والمأمون وعظم قدر هذا الكتاب معروف وقد شرحه جماعة من الأئمة وقد طبع شرح السرخسى عليه فى الهند فى أربعة مجلدات ولشيخ مشايخنا العلامة محمد المنيب العينتابى تعليق نفيس عليه سماه (التيسير على السير الكبير) وهو موجود بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وتوجد نسخ خطية من السير الكبير بمكتبات اصطنبول ، وسبق أن ترجم كتاب السير الكبير إلى اللغة التركية بقلم شيخ مشايخنا العينتابى المذكور فى عهد السلطان محمود خان العثمانى ، تسهيلا لاطلاع المجاهدين من قواد الجيوش فى الدولة على احكام الجهاد ، ثم طبعت الترجمة المذكورة في اصطنبول ، وتلك الكتب الستة أعنى المبسوط والصغيرين والكبيرين والزيادات يعد ما حوته من الروايات ظاهر الرواية فى المذهب من حيث أنها مروية بطريق الشهرة أو التواتر ويعد باقى كتب محمد فى الفقه غير ظاهر الرواية لورود باقى الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر .

فمنها الرقيات وهى المسائل التى فرعها محمد بن الحسن حينما كان قاضياً بالرقة رواها عنه محمد بن سماعة وكان معه طول بقاء محمد بن الحسن بها ، ومنها الكيسانيات وهى التى رواها عنه شعيب بن سليمان الكيسانى يرويها الطحاوى عن سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد ويقال لها الأمالى وتوجد

قطعة منها فى المكتبة الآصفية فى حيدر آباد الدكن بالهند ودائرة المعارف[1] هناك على عزم طبع تلك القطعة كما بلغنى من صديقى العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء شيخ الحديث بالمدرسة النظامية فى حيدر آباد الدكن ، ومنها الجرجانيات يرويها على بن صالح الجرجانى عن محمد ، ومنها الهارونيات وله كتاب النوادر رواية ابراهيم بن رستم ، وآخر رواية ابن سماعة ، وآخر رواية هشام بن عبيد الله الرازى وقد أصبحت تلك الكتب نوادر فى الخزانات كما أن مسائلها تعد نوادر فى المذهب .

وله كتاب الكسب يقال إنه مات قبل أن يتمه وكانوا سألوه أن يؤلف كتابا فى الورع فجاوبهم بأنى ألفت كتابا فى البيوع يريد ان المرء إذا طاب مكسبه حسن عمله فلما أصروا على الطلب بدأ فى تأليف هذا الكتاب لكن المنية حالت دون إتمامه وكان شمس الأئمة السرخسى شرح كتاب الكسب هذا كما فى تاج التراجم ، وفى دار الكتب المصرية كتاب محفوظ تحت رقم ١١ فى فن الصناعة فى نحو خمس واربعين ورقة يبحث عن المكاسب يقال انه تلخيص ابن سماعة لكتاب الكسب لمحمد مكتوب على ظهره (كتاب الاكتساب فى الرزق المستطاب) بديع فى بابه ولكن فى النفس شىء من نسبة الكتاب بهذا الاسم إلى ابن سماعة والله أعلم .

وطبع حديثا كتاب فى المخارج والحيل باسم محمد بن الحسن وهو المقيد باسم أبى يوسف بدار الكتب المصرية ، وقد قال ابن أبى العوام سمعت ابن أبى عمران يقول سمعت ابن سماعة يقول سمعت محمد بن الحسن يقول (عن كتاب فى المخارج والحيل كان يتداوله بعض الناس) : هذا الكتاب ليس من كتبنا وإنما ألقى فيها . قال ابن أبى عمران : إنما وضعه إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة . وكنت تكلمت على هذا فيما علقته على كتاب زغل العلم للذهبى .

واما الكتب التى تغلب فيها رواية الحديث من كتبه فبين أيدينا منها كتاب

[١] وكم لها من أياد بيضاء على العلم مشكورة مدى الدهر .

الموطأ تدوين محمدمن روايته عن مالك وفيه ما يزيد على الف حديث وأثر من مرفوع وموقوف مما رواه عن مالك وفيه نحومائة وخمسة وسبعين حديثا عن نحوأربعين شيخا سوى مالك ، وهذا الموطأ من مسموعات أبى الوليد الباجي من أبي ذر الهروى كما فى أواخر شرح الموطأ له (ج ٧ ص ٣٠٠) وبه انتشر موطأ محمد بالأندلس وأسانيد الموطأ برواية محمد مبسوطة فى أثبات شيوخنا من المشارقة وسبق ذكر أهمية هذا الموطأ عند بيان رحلة محمد إلى مالك رضى الله عنهما . وشرحه على القارى والبيرى شارح الأشباه وعثمان الكماخى . وطبع موطأ محمد بالهند مرات مع التعليق الممجد لعبد الحى اللكنوى

لكن أدخل حديث كان في هامش نسخة أبى علي الصواف فى الصلب خطأ وهو حديث القراءة خلف الامام من رواية الشيخ أبى على عن محمود المروزى إلى آخر السند فاصطرب لذلك اللكنوى فى رجال هذا السند ظنا منه أن أبا على هو شيخ لمحمد بن الحسن ولا دخل لمحمد بن الحسن فى هذا الحديث أصلا فان أبا على هو محمد بن أحمد بن حسن الصواف من رجال القرن الرابع راجع ترجمة شيخه المروزى فى تاريخ الخطيب (ج ١٣ ص ٩٤) وهناك يسوق هذا الحديث ، وإدخاله في الصلب عمل أحد الناسخين والنسخة المنقولة عن نسخة الاتقانى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٩) على الصواب ، واضطرب الشيخ عبدالحى أيضا فى رجال حديث الشعبى فى صلاة القاعد (محمد ثنا بشر ثنا أحمد أخبرنا إسرائيل) لكن محمداً فى أول السند هو أبو على الصواف المذكور وبشر شيخه هو بشر بن موسى الأسدى راوية موطأ محمد وأحمد هو أحمد بن مهران النسوى صاحب محمد وراوى الموطأ عنه وإسرائيل شيخ محمد بن الحسن الامام وقد سقط محمد من بين أحمد وإسرائيل كما يظهر من نسخة أخرى محفوظة بها تحت رقم (٤٤٠) أدخل الناسخ هنا خاصة عدة من الرواة المتأخرين عن محمد فى صلب السند كما هو عادة كثير من الاقدمين وقد ألف فى رجال موطأ محمد العلامة قاسم الحافظ .

ومن كتب محمد بن الحسن كتاب الحجة المعروف بالحجج فى الاحتجاج على أهل المدينة وقد وصلت إلى أيدينا قطعة كبيرة منه طبعت بالهند قديما عن النسخة المحمودية بالمدينة وسبق ذكره فى (ص ١٠) ومنها كتاب الآثار يروى فيه عن أبى حنيفة أحاديث مرفوعة وموقوفة ومرسلة ويكثر جداً عن إبراهيم النخعى شيخ الطريقة العراقية ، ويروى فيه قليلا عن نحو عشرين شيخاً سوى أبى حنيفة وهو كتاب نافع للغاية ولمشايخنا عناية خاصة بروايته فى أثباتهم وقد ألف الحافظ ابن حجر (الايثار بمعرفة رواة الآثار) فى رجاله باقتراح صاحبه العلامة قاسم الحافظ ثم ألف هو أيضاً كتاباً آخر فى رجاله ، وكذلك لمحمد مسند أبى حنيفة المعروف بنسخة محمد. ومن جملة ما يذكره محمد بن اسحاق النديم من مؤلفاته فى فهرسته : كتاب اجتهاد الرأى ، وكتاب الاستحسان ، وكتاب الحجج يحتوي على كتب كثيرة وكتاب الخصال ، وكتاب الرد على أهل المدينة ، وكتاب أصول الفقه .

فأولية رسالة الشافعى فى الاصول إنما تصح بالنسبة الى مذهبه وهو يناقش الطوائف قبله فى الاصول فى الأم وها هو لمحمد كتاب فى الاصول ولأبى يوسف ايضا كما ذكره طلحة الحافظ ولأبى حنيفة كتاب الرأى كما سبق بل مالك يروى أ-ولة عن ربيعة عن ابن المسيب كما فى صلة ابن بشكوال .

أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن

المذكورة فى أثبات المشايخ

وتذكر فى غالب الأثبات والمعاجم على اختلاف القرون أسانيد كثير من كتب محمد بن الحسن منها الآثار والمسند والموطأ والأصول الستة له وكان الجمال الحصيرى انفرد فى عصره بروايتها سماعاً بعلو عن الحسن بن منصور الأوزجندى عن الظهير الحسن المرغينانى عن عمه أبى القاسم محمد بن عبد

العزيز عن شمس الأئمة السرخسي بأسانيده المعروفة فى الكتب الستة وعن الحصيرى يرويها الصدر سليمان الاذرعى وعنه الشمس السروجى وعنه القطب عبد الكريم الحلبي وعنه عبد القادر القرشي وعنه القاضى الزين المراغى وعنه يحيي بن محمد الآقصرائى وعنه البرهان الكركى وعنه السراج الحانوتى وعنه ابنه محمد وعنه الخير الرملى وأسانيد مشايخنا إليه مدونة فى الأثبات لكن لا بأس فى أن نشير هنا الى أسانيدنا فى كتب محمد بن الحسن المذكورة

اما كتاب الآثار له فأرويه بعموم الاجازة عن شيخنا العلامة أبى الاخلاص على [1] زين العابدين بن الحسن بن موسى الألصونى عن شيخه العلامة النحرير أستاذ الاساتذة أحمد شاكر بن خليل الاصطنبولى عن شيخه المحقق الحافظ محمد غالب الاصطنبولى عن شيخه العلامة المسند سليمان بن الحسن الكريدى عن المحدث المعمر أبى المحاسن يوسف بن اسمعيل عن الفقيه المحدث محمد هبة الله البعلى التاجي المتوفى سنة ١٢٢٤ (ح) وأنبأنا به عاليا بعموم الاجازة المحدث الورع الشيخ الحسن بن عبد الله القسطمونى عن أحمد حازم النوشهرى عن العلامة محمد أسعد امام زاده عن محمد هبة الله البعلى عن صالح بن إبراهيم الجينيني عن محمد بن علي المكتبي عن أبي الصبر أيوب بن أحمد الدمشقى عن إبراهيم بن محمد الاحدب عن الحافظ محمد بن طولون عن أبي بكر محمد ابن أبي بكر بن أبي عمر عن البرهان الحلبي الحافظ عن أبى عمر محمد بن أحمد بن أبي عمر عن أبى الحسن على بن البخارى عن ابن الجوزى عن ابن البطى عن ابن خيرون عن الصيمرى عن أبي اسحق إبراهيم بن أحمد الطبرى عن أبى بكر الرازى عن أبى عامر عمر بن تميم بن سيار عن أبى سليمان الجوزجانى عن محمد بن الحسن الشيباني . وأرويه أيضاً بقراءة أوائله وإجازة الباقى عن محمد صالح الآمدى عن الشيخ فالح عن عبدالغنى الدهلوى عن محمد

[1] توفى بعد أذان الجمعة ١٨ صفر سنة ١٣٢٦ عن ٧٤ سنة ودفن بمقبرة السلطان محمد الفاتح باصطنبول أغدق الله على جدثه سحب رحمته .

عابد السندى بسنده المذكور فى حصر الشارد بطريق ابن حجر إلى أبى حفص الكبير البخارى عنه

وأما مسند محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة بالسند إلى ابن طولون عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى عمر عن أم محمد عائشة ابنة محمد العمرى عن أبى الحجاج يوسف المزى الحافظ عن ابن البخارى عن ابن الجوزي عن ابن البطي عن الحسن بن محمد الجوهرى عن أبى بكر محمد الأبهرى عن أبى عروبة الحرانى عن جده عمرو بن أبى عمرو عن محمد بن الحسن الشيبانى . ويرويهما أيضا صالح الجينينى عن أبيه عن الخير الرملى عن محمد بن السراج عمر الحانوتى عن مؤلف السيرة الشامية محمد بن يوسف الصالحي الحافظ بأسانيده المذكورة فى عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان له . وذكر ابن حجر أسانيده فى موطأ محمد والآثار له والسير الكبير له فى المعجم المفهرس

وأما كتاب الموطأ رواية محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة أيضا بالسند إلى ابن طولون عن أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم الأرموية مشافهة عن أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي عن الحجار عن أبى الحسن محمد القطعى كتابة عن ابن البطى عن ابن خيروذ وأبى الحسن على بن الحسين بن أيوب قالا أنبأنا أبو طاهر عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب أنبأنا أبو على محمد [١] بن أحمد بن الحسن الصواف أنبأنا أبو على بشر بن موسى ابن صالح الأسدي أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسائى أنبأنا به محمد بن الحسن الشيبانى رحمه الله .

وأما الكتب الستة له أعنى الجامع الصغير والجامع الكبير والسير الصغير والسير الكبير والمبسوط والزيادات فانى أرويها بعموم الاجازة أيضا بالسند إلى صالح الجينينى عن الحسن العجيمي عن عبد الفتاح الخاص عن محمد بن عبد القادر النحريرى عن السراج عمر الحانوتى عن محمد بن جرباس عن أبى الخير

[١] سمع منه ابوذر الهروى موطأ محمد ومنه سمعه أبو الوليد الباجي وبه انتشر موطأ محمد بالمغرب

محمد بن محمد الرومى عن المجد محمد بن محمد بن على الحريرى عن والده عن قوام الدين الاتقانى عن الحسين بن على السغناقى عن حافظ الدين محمد بن محمد ابن نصر البخارى عن محمد بن عبد الستار الكردرى عن البرهان صاحب الهداية عن أبي حفص عمر النسفى عن أسعد بن عبد الله الغوبدينى عن أبيه عبد الله بن حمزة عن محمد بن أبى سعيد عن جده يعقوب عن أبى سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني عن الامام محمد بن الحسن رحمه الله

وأما رواية السير الكبير بطريق اسمعيل بن توبة خاصة فبالسند إلى صاحب الهداية عن تاج الدين أحمد بن عبد العزيز بن عمر عن شمس الاسلام أبى بكر محمد بن على بن الفضل الزرنجري عن شمس الأئمة الحلوائى عن أبى على النسفى عن أبى إبراهيم اسحق بن محمد بن حمدان المهلبى عن أبى محمد الحارثى عن ابى محمد السمنانى عن اسمعيل بن توبة القزوينى المؤدب عن الامام أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه وأدام تسلسل أسانيد علومه ونفعنا ببركاته

وفاة محمد بن الحسن رضى الله عنه

كان ميلاد محمد بن الحسن سنة اثنتين وثلاثين ومائة كما نص عليه ابن أبى العوام وابن سعد والخطيب وغيرهم وسها من قال سنة خمس كما سبق وأما وفاته فكانت سنة تسع وثمانين ومائة باتفاق بين ابن سعد وابن الخياط والخطيب وغلط من قال سنة ثمان كما وقع فى ابن أبى العوام . قال أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا المرزبانى ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى : مات محمد بن الحسن والكسائى بالرى سنة تسع وثمانين ومائة فقال الرشيد دفنت الفقه والعربية بالرى . وسبق أنه قيل مات محمد ثم الكسائى بعده بيومين وقيل ماتا فى يوم واحد والله أعلم وفى مناقب الكردرى أن أبا لحسن على بن موسى القمي ذكر أن محمد بن الحسن دفن بجبل (طبرك) محركة قلعة بالرى

بقرب دار هشام بن عبيد الله الرازى لأنه كان نازلا عليه ، والكسائى بقرية (رنبويه) وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ نزل الامام محمد فى جانب والامام الكسائى فى جانب اه وذلك حينما خرج الرشيد الى مقاتلة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند ، وذكر الذهبى فى جزئه عن يونس بن عبد الأعلى عن على بن معبد عن الرجل الرازى الذى مات محمد بن الحسن في بيته (وهو هشام بن عبيد الله) قال حضرت محمداً وهو يموت فبكى فقلت له : أتبكى مع العلم . فقال لى : أرأيت إن أوقفنى الله تعالى فقال يامحمد ما أقدمك الرى الجهاد فى سبيلى أم ابتغاء مرضاتى ؟ . ماذا أقول ؟ ثم مات رحمه الله اه . وقال الصيمرى أخبرنا عمر بن ابراهيم ثنا مكرم ثنا محمد بن عبد السلام حدثنى سليمان بن داود بن كثير الباهلى وعبد الوهاب بن عيسى قالا حدثنا (أحمد بن) محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى قال رأيت محمد بن الحسن فى المنام فقلت له ما صنع بك ربك ؟ قال أدخلنى الجنة وقال لى لم أصيرك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك . قال قلت فأبو يوسف قال ذاك فوقى أوفوقنا بدرجة قال قلت فأبوحنيفة . قال : ذاك فى أعلى عليين اه . وقال ابن أبى العوام الحافظ : حدثنى محمد بن أحمد بن حماد قال حدثنى احمد بن القاسم البرتى قال حدثنا أبو على أحمد بن محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى يقول : أرأيت محمد بن الحسن فى المنام فقلت إلى م صرت ؟ قال غفر لى قلت بم ؟ . قال قال لم نجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نغفر لك قال قلت فما فعل أبو يوسف قال فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة قال : فى أعلى عليين اه . ولفظ الخطيب قريب من هذا إلا أنه يرويه بطريق ابن المغلس عن سليمان بن أبى شيخ عن ابن أبى رجاء عن مخمويه أحد الأبدال والله أعلم

أغدق الله على ضريحه سجال رحمته ورضوانه ونفعنا بعلومه بمنه وكرمه انه قريب مجيب . وأخرج الصيمرى عن المرزبانى عن أبى بكر (بن دريد) عن سعيد السكرى قال أنشدنى اسمعيل بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدي

عن أبيه أنه أنشدني محمد بن الحسن والكسائى

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وماقد نرى من بهجة ستبيد

لكل امرئ منا من الموت منهل ... فليس له إلا عليه ورود

ألم ترشيبا شاملا يبدو البلى ... وأن الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ماأفنى القرون التى مضت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد

أسيت على قاضي القضاة محمد ... فذرفت دمعي والفؤاد عميد

وقلت إذا ماالخطب أشكل من لنا؟ ... بإيضاحه يوما وأنت فقيد

وأقلقنى موت الكسائى بعده ... وكادت بى الارض الفضاء تميد

وأذهلنى عن كل عيش ولذة ... وأرق عينى والعيون هجود

هما عالمانا أوديا وتخرما ... فما لهما فى العالمين نديد

فحزنى متى يخطر على القلب خطرة ... بذكرهما حتى الممات جديد

وذكر مثل ذلك ابن عبد البر فى الانتقاء ويعزى إلى الرشيد أنه أنشد:

أسيت على قاضي القضاه محمد ... فذرفت دمعى والفؤاد عميد

الابيات فلعله تمثل بأبيات اليزيدي. انتهى ما أردنا ذكره فى هذه العجالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بيد الفقير إليه سبحانه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

فى ... عصر يوم الخميس تاسع صفر الخير

من سنة خمس وخمسين وثلثمائة وألف



في الرد على ابن زفيل

للامام الحجة أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير

المتوفى سنة ٧٥٦

يرد به على نونية ابن القيم

ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

عفي عنهما

﴿ الطبعة الاولى ﴾

على نفقة ناشره ومصححه الشيخ عبد الحفيظ سعد عطيه
من علماء الأزهر
١٣٥٦ — ١٩٣٧

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر